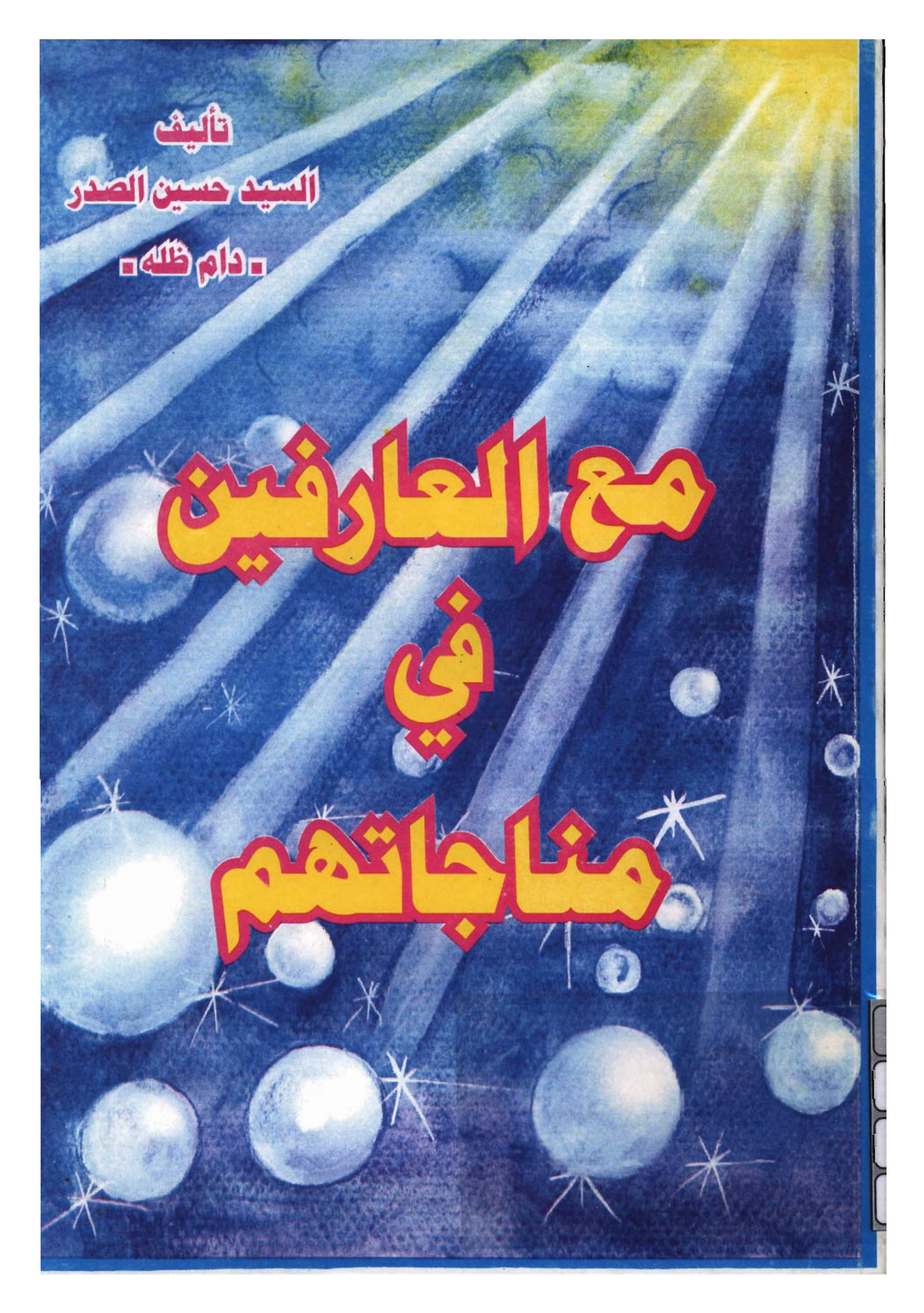

تأليف
السيد حسين الصدر
- دام ظله -
مع العارفين
في
مناجاتهم

هذا الكتاب

(الدعاء غاية... وهو وسيلة !

غاية لان يتكلم العبد مع ربه وهل هنالك غاية أسمى من هـــذه الغاية...

وهو وسيلة لإعطاء الفكر الصحيح والمنهج العلمي السليم فـــي تسلك طريق الله سبحانه وتعالى...)

حول هذا المفهوم وأمثاله طاف سماحة آية الله السيد حســـين الصدر(دام ظله) مع العارفين في مناجاتهم.

فكان حديثه عن خواص الدعاء والمناجاة مستمداً من مناجـــاة سيد الساجدين وزين العابدين الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبـــي طالب(عليهمُ السلام).

فأستخلص بذلك العِبر المطلوبة من الداعـــي وأوضـــح خفايـــا وأسرار الدعاء فأليك عزيزي القارئ ندفع هذا الحديث اللذيذ لتســـتمتع بهذه الأجواء الروحانية التي أوصلها ألينا سماحتهُ(دام ظله).

والله من وراء القصد

الناشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٩٧) لسنة ٢٠٠١



تأليف
السيد حسين الصدر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين

الطاهرين وأصحابه الكرام الميامين

تمهيد

حديثنا سيكون عن خواص الدعاء والمناجاة ...

وما الفرق بينهما...

(فالدعاء) هو التوجه الى الله (سبحانه وتعالى)- امتثالا لأمره !!...

فقد أمرنا الله -(سبحانه وتعالى)- في كثير من آياته المباركة بالدعـاء !!... والتوجه اليه !!... أمثال قوله تعالى:

(وقال ربكم ادعوني !!...

استجب لكم)!!...

وفي قوله تعالى:-

(إني قريب !!... أجيب دعوة الداعِ اذا دعان) !!...

وفي قوله تعالى !!...

(ادعوا ربكم تَضرعاً !!... وخيفة !!...

إنه لا يحب المعتدين)!!...

وفي قوله تعالى:

(ادعوه خوفاً !!... وطمعاً !!...

إن رحمة الله قريب من المحسنين !!...)

ويصف المؤمنين بقوله تعالى:

(اولئِكَ الذينَ يدعونَ، يبتغونَ الى ربهم الوَسيلةَ، ايهم اقرب !!...

ويرجون رحمته ويخافون عذابه.)!!...

وتكون النتيجة الإلهية للدعاء:

(إني قريب أجيب دعوة الداعِ اذا دعان !!...).

وتكون النتيجة الالهية للدعاء:

(قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم !!...).

فالدعاء:

(أولا): يأتي نتيجة الأوامر الالهية !!...

(ثانيا): يكون مقارنا للأيمان بالله سبحانه وتعالى !!...

فهو دليل ايمان العبد بربه !!...

ودليل لإيمان الأمة بخالقها !!...

(ثالثا):

بمقارنة الدعاء بالعبادة نلاحظ:

أن العبادة كلها دعاء !!...

ولا يمكن أن نفهم العبادة من دون دعاء !!...

ولا الدعاء من دون عبادة !!...

هذا بالاضافة الى قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ناقلا للحديث القدسي:

(مَنْ صَلى ولم يدعني ... فقد جفاني !!...)

ذلك هو أدب العلاقة مع الله (سبحانه وتعالى) أدب علاقة العبد مع ربه!!... والأمة مع خالقها !!...

(رابعا):

الدعاء دائما يدل على ضعف !!... وحاجة من العبد الى ربه !!... ضعف !!... وحاجة من الأمة الى خالقها وبارئها، ومكونها !!...

ولهذا يدعو العبد بأمور صغرت أم كبرت !!... تضاءلت أم ضخمت!!...

بأمور تافهة أو جليلة !!...

فيدعوه لكل مفردات حياته !!... ولكل اجزاء عمله !!... لنفسه !!... لرزقه !!... لعائلته !!... لأهله !!... لصديقه !!... لمجتمعه !!... لابنه !!... لبنته !!...

يدعوه لكل المفردات !!...

تأكيدا لأيمانه بالله !!...

تأكيدا لضعفه !!... لحاجته الى ربه !!...

ذلك هو الدعاء بايجاز ...

(أما المناجاة) هي درجة أعلى من الدعاء !!... الدعاء يدل على الأيمان كما قلنا (مقارن للايمان) !!...

المناجاة مقارنة للحب !!...

يعني أن العبد تخطى موضوع إيمانه بالله !!...

ويعني أن العبد تخطى موضوع العبادات المأمور بها من قبل الله –(سبحانه وتعالى)– وطبقها، ونفذها !!...

ولكنه يريد الوصال اكثر !!...

ولكن العبادة التي عاشها، والأيمان الذي غمر قلبه لم يكن يكفيه للوصـــول الى حبيبه !!...

لأنه ارتبط مه محبوبه ارتباطا لا يمكن أن يصفه لسان !!...

ولا تترجمه كلمات !!...

ولا تبينه جمل !!...

ولا يمكن أن يكتب بكتاب !!...

فهو قد أحبه حبا لا يشبه الآخرين !!...

لأنه هو ليس كالاخرين !!...

فلا بد أن يكون حبه لا يشبه حب الآخرين !!...

هذا العبد الذي أحب ربه بهذا النوع من الحب !!...

هذا الحب الذي لا تكفيه الركعات فحسب !!...

لا يكفيه ما بداخله من إيمان !!... ولو أن قلبه عامر بالأيمان !!...

ولكن يبقى قلبه محترفا للوصول الى حبيبه !!...

فهو يعيشه في كل لحظة !!...

فهو يعيشه في كل آن !!...

فهو يعيشه في كل صغيرة، وكبيرة !!...

فهو يعيشه في فكره !!... وقلبه !!... وعقله !!... وروحه !!...

فهو يعيشه في كل اجزائه !!...

بل نقول اكثر:

هو لا يعيش غيره !!...

أحبه بكل قلبه !!... فلم يكن في قلبه مكان لغيره !!...

ومن هنا: يرى هذا العبد المحب لربه أن ايمانه في قلبه !!... وعبادته كلها غير كافية !!...

لوصوله الى محبوبه !!...

لوصوله الى ربه !!... الى خالقه !!... الى مربيه !!... الى كل شيء في حياته !!...

الى الاول، والآخر، والظاهر، والباطن !!...

هذا المحب يريد ترجمة لحبه لربه !!...

يريد ترجمة لقوله سبحانه وتعالى:

(يُحبهم ويُحبونه)!!...

وحبه ليس كحب غيره !!...

حب الغير ممكن أن يشترك فيه !!...

أما حبه فلا يمكن أن يشترك فيه أحد !!...

لأنه ليس كمثله أحد !!...

يريد أن يترجم قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)

(لا يُؤمِنَ أَحدكم حتى يكون الله ورَسوله أحَبَّ اليهِ من أهله !!... ونفسه !!... وماله.)!!...

يريد أن يترجم هذا الحب مع ربه !!...

وجوده في القلب لم يشفه !!...

وجوده ضمن عبادة، وضمن ركعات لم يحقق رغبته في الوصول الى محبوبه!!...

ولهذا يأخذ (بالنجوى) ما بينه وبين ربه !!...

والمناجاة:

مرة أن تكون قلبية !!...

ومرة أن تكون في اللسان !!...

(المناجاة القلبية):

هي العلاقة المستمرة والمملؤة بكل الحب لله -(سبحانه وتعالى)- !!...

يكون قلب العبد متصلا بالله -(سبحانه وتعالى)!!...

يعيش ربه !!...

يعيشه ليس ايمانا فحسب !!... ولا عبادة فقط !!...

يعيشه كحبيب !!... ومن أولى منه بالحب !!... وهل الحب إلا للمتفضل؟!!...

وهل هناك اكثر فضلا من الله على عبده ؟!!...

(وإن تعدوا نعمةَ الله لا تُحصوها)!!...

واكثر من ذلك:

هو يحبه لأنه هو !!...

فمناجاته هي الأتصال الدائم مع الله (سبحانه وتعالى)!!...

(أما مناجاة اللسان)

هو ما يمكن له أن يترجم ما في قلبه الى لسانه مع ربه !!...

والكلمات لا تترجم ما في القلب !!...

وكيف لها أن تترجم ما في القلب من حب لله -(سبحانه وتعالى)- وهو حب لا يمكن أن يوصف؟!!...

ولكن الكلمات تحاول أن تترجم ما في القلب !!... فتناجيه !!...

وتقف بين يديه !!...

وتتضرع اليه !!...

لا لحاجة !!... ولا لطلب !!... ولا لغاية !!...

فلا يطلب منه شيء !!... وإنما غايته القرب !!... ورجاؤه الوصول!!...

فيحاول أن يترجم ما في قلبه على لسانه !!...

وترتفع الدرجة !!... وتسمو العلاقة !!...

لأنه هو يحب من هو اكرم منه !!...

لأنه هو يحب من هو أرحم منه !!...

ولهذا يرى الباب مفتوحا ما بينه وبين حبيبه !!...

فتصل الى درجة العشق ما بينه وبين ربه !!...

يكون هائما بربه !!...

يكون فكره الاول والآخر هو:

الله –(سبحانه وتعالى)–

لا يشغله شيء عن حبيبه !!... عن معشوقه !!... يراه في كل شيء!!...

فلا يرى شيء غيره !!... يحبه لأنه هو !!...

وليس لجنته ولا لنعيمه !!...

فهو النعيم عنده !!...

يحبه لأنه هو !!... هو !!...

وليس خوفا من عقابه وناره !!...

يحبه لأنه هو !!... هو !!...

وليس لأي شيء آخر !!...

يصل الى درجة العشق مع ربه !!... فلا يرى لوجوده وجودا !!... وإنما الوجود كله لمحبوبه !!...

فهو محب له !!... فان فيه !!... عاشق اليه !!... هذا وهو يناجيه !!...

نص ...

مناجاة العارفين



بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي قَصُرتِ الألسُنْ عَنْ بلوغِ ثَنائِكَ كما يَليقُ بجلالِكَ وعَجزَتِ العقولُ عن إدراكِ كُنهِ جَمالِكَ وانحسَرَتِ الأبصارُ دونَ النظرِ الى سُبُحاتِ وَجهِكَ ولم تجعَلْ للخَلقِ طَريقاً الى مَعرفتِكَ إلا بالعَجزِ عن مَعرفتِكَ ...

إلهي فأجعَلنا مِنَ الذينَ تَرسَختْ أشجارُ الشوقِ إليكَ في حَدائقِ صُدورِهِمْ وأخذَت لَوعةُ محبتكَ بمجامعِ قُلوبِهِمْ فهُم الى أوكارِ الأفكارِ يأوونَ... وفي رياضِ القُربِ والمكاشَفةِ يَرتعونَ ومن حِياضِ المحبة بكأسِ الملاطَفةِ يَكرعونَ وشَرايعَ المصافاةِ يَردونَ قَد كُشِفَ الغِطاءُ عن أبصارِهِم وانجلَتْ ظُلمةُ الرَّيبِ عن عَقائِدِهِم وضَمائِرِهِم وانتفَتْ مُخالجَةُ الشَكِّ عن قُلوبِهِم وسَرائرِهِم وانشَرَحَتْ بتَحقيقِ المعرفَةِ صُدورهُم وعَلَتْ لِسَبقِ السَعادةِ في الزَّهادَةِ هِممُهُمْ وَعذُبَ في مَعينِ المعامَلةِ شِربهُمْ وَطابَ في مَجلسِ الأنَسِ سِرُّهُم وأمِنَ في مَوطِنِ المخافَةِ سِربهُم واطمأنَت بالرجُوعِ الى رَبِّ الأربابِ أنفُسهُم وَتيقنَتْ بالفَوزِ والفَلاحِ أرواحُهم وَقرَّت بالنَظَرِ إلى محبوبِهِم أعينُهم واستَقرَّ بإدراكِ السُؤلِ ونَيلِ المأمولِ قَرارهُم وَربِحتْ في بَيعِ الدُنيا بالاخِرَةِ تجارَتهُم...

إلهي ما ألَذَّ خواطِرَ الإلهامِ بِذكرِكَ على القُلوب، وما أحلى المسيرَ إليكَ بالأوهامِ في مَسالكِ الغُيوبِ، وما أطيبَ طَعمَ حُبكَ، وما أعذَبَ شِربَ قُربِكَ ...

فأعِذنا مِنْ طَردِكَ وإبعادِكَ، وأجعَلنا مِنْ أخَصِ عارِفيكَ وأصْلَح عِبادِكَ وأصدَقِ طائِعيكَ وأخلَصِ عُبَّادِكَ، ياعَظيم ياجَليلُ ياكريمُ يامُنيلُ بِرحمتِكَ وَمَنِّكَ ياأرحَم الراحمين...



في
رحاب المناجاة

من نعم الله علينا... ونعمه كثيرة لا تعد ولا تحصى وفقا لقوله تعالى

(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ...

فهي لا يمكن أن تحصى عددا ولو اجتمع الجن والأنس

فنعمه كثيرة وآلائه متعددة، ومن أهم هذه النعم وهذه الالطــاف وهــذه العطايا هو أنه فتح الينا باب الدعاء وباب المناجاة...

فتح لنا هذا الباب، وسمح لنا أن ندعوه ونناجيه، وأن ندعوه ونتكلم معــه، أن نناجيه حبا وشوقا وتضرعا وخيفة...

- نناجيه ونشعر أنه قريب منا وانه اقرب الينا من حبل الوريد !!...
- نناجيه... ونشعر أنه يملأ جميع وجودنا واحاسيسنا ومشاعرنا !!...
- نناجيه ... ونشعر أنه يملأ قلوبنا وانفسنا وضمائرنا وعقولنا !!...
- نناجيه ولا نناجي غيره، نتكلم معه ولا نشكو لغيره، ونشعر بقربه منـا، ونشعر بقربنا منه !!...

تلطف علينا وفتح لنا هذا الباب:-

- باب الحديث معه ...
- باب الحديث مع المحبوب ...
- باب الحديث مع الرب ...
- باب الحديث مع المولى...
- باب القرب منه ...
- باب المناجاة له وباب المناجاة معه ...

فهذا من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على عبده ... بأن جعل لــه هــذه الأهلية للحديث والدعاء والمناجاة مع ربه وحبيبه ...

وعندما نعود الى مدرسة أهل البيت عليهم السلام نراها الأنموذج الأكمل لصياغة هذه العلاقة ما بين العبد وبين ربه، لترجمة هذه العلاقة ما بين العبد وبين ربه وما بين الامة وبين خالقها ...

لصياغة وترجمة هذه العلاقة، وجعلها سلوكا عمليا يعمل به العبد وتلتزم بها الامة في علاقتهم مع الله سبحانه وتعالى...

واهل البيت عليهم افضل الصلاة والسلام كلهم مدرسة القرآن، وكلهم مدرسة محمد، وكلهم مدرسة علي، فما عندهم هو من القرآن ومن جدهم الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن جدهم الامام امير المؤمنين علي عليه افضل الصلاة والسلام...

ومن أبرز هذه المدارس هي مدرسة الامام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين وامام المتقين، في دعائه مع ربه وفي مناجاته لمحبوبه...

فنرى أنه يعطي الدرس بعد الدرس من الجانب النظري والفكري، ومن الجانب العملي والتطبيقي والسلوكي...

يعطي الدرس بعد الدرس والمنهج تلو المنهج في علاقة الفرد مع ربه وعلاقة الامة مع ربها وخالقها وبارئها وموجدها ومربيها ومكونها...

يعطي هذه الدروس وهذا المنهج على شكل دعاء مرة وعلى شكل مناجاة مرة أخرى

فهي ليس المقصود منها: الدعاء فحسب، وليس المقصود منها: المناجاة فحسب ... ولكن هي تعطينا دروسا فكرية ومنهجا عمليا للفرد والأمة في عبوديته لله وفي علاقته مع الله وفي تسلكه لطريق الله سبحانه وتعالى...

هذا التسلك الذي لا بد أن يجمع بين الايمان الكامل بالله سبحانه وتعالى والمعرفة الصحيحة لله سبحانه وتعالى، وما يتبع هذا الايمان وهذه المعرفة من سلوك

واخلاق، واستقامة، وعبادة، وخشوع،وخضوع، وتذلل، واستصغار، ومعرفة الانسان لنفسه، فتلك هي مهمة الدعاء عند الامام (ع)، وتلك هي مهمة الدعاء عند مدرسة أهل البيت عليهم افضل الصلاة والسلام...

فالدعاء هو غاية !!... وهو وسيلة !!...

- غاية:- لأن العبد يتكلم مع ربه، وهل هناك غاية اسمى من هذه الغاية ؟؟!!...

لأن يناجي العبد ربه ومولاه، وهل هناك اعظم من ذلك؟؟ وهل هناك افضل واكبر واسمى من هذه الغاية؟؟ فهي غاية الغايات !!...

- وهو وسيلة:- لأعطاء الفكر الصحيح والمنهج العملي السليم في تسلك طريق الله سبحانه وتعالى، ايمانا ومعرفة وحبا وشوقا وعبادة وأخلاقا وخوفا وطمعا...

ومن ضمن هذه المدرسة المتكاملة لأهل البيت عليهم السلام، والمتمثلة بدعاء الامام علي بن الحسين (ع) ومناجاته...

فنرى هناك خمسة عشر مناجاة للأمام علي بن الحسين عليه افضل الصلاة والسلام، ومن هذه المناجاة هي مناجاة العارفين...

ومناجاة العارفين هي لا بد أن تكون بعد مرحلة الايمان، لأن الانسان لا بد أن يؤمن بالشيء اولا، ثم يتعرف اليه ثانيا !!...

لا بد أن يعتقد به أولا، ويعرفه ثانيا !!... فلو أردنا أن نضرب مثلا – والامثلة تضرب ولا تقاس !!...

فلو أن هناك شخصا يقال له فلان علمت بوجوده اولاً فستكون المرحلة الثانية بعد علمي بوجوده هي التعرف اليه !!...

أما اذا لم أعلم بوجوده، لا يمكن أن أتعرف اليه كذلك هنا درجة العارفين، لا بد ان تكون بعد الايمان الكامل بالله سبحانه وتعالى...

فالايمان مرحلة اولى، والمعرفة مرحلة بعد مرحلة الايمان، فالايمان هو ما تدل عليه الفطرة وما يدل عليه العقل وما يسمى بالرسول الباطني !!...

فهناك رسول باطني عند المولود عندما يولد وهما الفطرة والعقل !!...

وهما اللذان يدلان الى الايمان بالله سبحانه وتعالى لو سلكا سلوكا سليما، فكل موولد يولد على الفطرة وابواه اللذان يهودانه وينصرانه !!...

ولو ان العقل السليم اتجه اتجاها مستقيما لأوصل الانسان للأيمان بالله سبحانه وتعالى والى الاعتراف بوجود الخالق، المكون، الصانع، الحكيم !!...

هذان هما الرسولان الباطنيان، وهما الفطرة والعقل، والرسول الظاهري هم الأنبياء والقرآن والائمة والواعظين ...

كل اولئك يدلون الفرد والأمة على الايمان بالله سبحانه وتعالى، على الاقرار بوجود الله سبحانه وتعالى والاعتراف بوجوده ووحدانيته...

والايمان بما أمر به تعالى وبما نقله الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الله سبحانه وتعالى، تلك هي درجة الايمان ويعرفها الامام أمير المؤمنين سلام الله تعالى عليه:-

(... اعترافٌ بالجِنان... قَولٌ باللسان ... عَملٌ بالاركان...)

لا أن بد يكون قلبك مؤمنا بربك، (وكما تعلمون) أن الايمان بالله سبحانه وتعالى هو أهم وأول اصول الدين واصول العقيدة !!...

يعني لا بد من معرفته بدليل وبرهان (ولا يجوز التقليد به) فهو أول الاصول واهم الاصول واساس الاصول، (والتقليد يكون بالفروع):-

- اعتراف بالجنان:- أي القلب، أي الروح، أي الضمير، النفس، وهذا الاعتراف الداخلي يتجسد على اللسان...

- قول باللسان:- هذا الاعتراف الداخلي يترجم على شكل كلمات باللسان...
- عمل بالاركان:- أن يكون عمله وخلقه وسلوكه وتصرفاته موافقة لما في قلبه ولما صدر من لسانه ايماناً بربه...

فلا يمكن ان نفصل العمل عن الايمان، والايمان عن العمل، فالايمان من دون عمل لا ثمرة منه !!...

ولذلك القرآن الكريم دائماً يقول:-

(الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

فيقرن العمل مع الايمان، **(هذه بأختصار عن الايمان)** وهو اول الدرجات ما بين العبد وبين ربه، وما بين العبد وبين خالقه وسيده وموجده ومُكَوِّنه ومولاه...

بعد أن آمن بربه وتسلك سلوك ربه وسار في طريقه، وطرق بابه، وحصل له الايمان في قلبه ولسانه وعمله ...

هنا يريد المعرفة اكثر فأكثر لربه وسيده ومحبوبه ومولاه، هناك ايمان في القلب واللسان والعمل، ايمان كامل بوجوده ووحدانيته وأوامره ونواهيه ...

ولكن بعد أن سلك هذا الطريق يريد ان يتعرف اكثر فأكثر بسيده ومولاه ومحبوبه، يريد أن يعيش محبوبه وسيده ومولاه بكل صغيرة وكبيرة...

وهكذا يأخذ هذا العبد المحب لربه في حالة التعرف على ربه وسيده ومولاه...

ولما يصل في علاقته مع ربه الى شيء من المعرفة بربه، لأنه لا يمكن ان يعرف ربه معرفة كاملة، معرفة تليق به، لأن العقل البشري لا يمكن أن يصل الى حد المعرفة الكاملة بالله سبحانه وتعالى !!...

ولهذا نقول:-

الايمان لا بد أن يكون ايماناً كاملاً، اما المعرفة الالهية لا يمكن ان يحيط بها العقل البشري (أي بمعرفة الله سبحانه وتعالى) بشكل كامل...

ألا أنه يتدرج يتلمس هذه المعرفة، ولهذا في الدعاء يقول:-

(وقَصُرت العُقول عن كُنهِ مَعرفته)

ولكنه هذا العبد المؤمن المحب يلتمس المعرفة ويسعى لهذه المعرفة، وبعد ان يصل الى شيء من هذه المعرفة، تأتي مناجاته مع ربه ...

وهكذا وصل العبد في علاقته مع ربه الى درجة المعرفة به، وكما قلنا ان المعرفة هي درجات تكاملية بين الانسان وبين ربه، بين العبد وبين مولاه، بين المخلوق وبين خالقه...

فهو وصل الى درجة المعرفة، تأكد الأيمان في قلبه، هذا الايمان صياغة أوصلته الى درجة المعرفة بربه، ولما وصل الى هذه الدرجة وهي درجة المعرفة بالله سبحانه وتعالى ...

- الآن كيف يتعامل معه؟؟...

كيف يتعامل مع خالقه وموجده ومُكّونه؟؟...

كيف يتعامل مع ربه ومع مولاه ومع من منحه كل شيء واعطاه من النعم والافضال ما لا تعد ولا تحصى؟

- كيف يخاطبه؟ كيف يتكلم معه؟ وكيف يتحدث اليه؟ كيف يذكره؟...

- كيف يمدحه؟ كيف يناجيه؟ كيف يعبده؟ كيف يخضع اليه؟ كيف يتذلل له؟...

- كيف التعامل من المحدود الى اللامحدود ؟...

المحدود:- هو الانسان؟!!...

اللامحدود:- هو المولى !!...

هو الذي لا بداية له !!...

هو الذي لا نهاية له !!...

هو الذي لا حد له ولا جسم له ولا وصف له !!...

هو من امتلأ قلبه بمعرفته، هو آمن به، هو أحبه، ولكن:-

- كيف يتعامل مع من أحبه وآمن به وعرفه ؟؟؟...

ومع الالتفات الى أن هذا مخلوق، هذا عبد ضعيف، ذليل، صغير !!...

وذاك هو الرب والمولى والخالق والموجد والمكون والاول والآخر والظاهر والباطن !!...

يقف بين يديه وهو العارف له، ويبدأ معه بأظهار العجز الكامل عن تصوره وعن لطفه وكرمه واوصافه ونعمه ...

فهذا العجز هو معرفة، هذا العجز هو معرفة الانسان لنفسه وانه لا يمكن ان يحيط بهذا المحبوب الرب المتعال !!...

فهو يعرف قدره، ومن عرف قدره عرف ربه، وانه عاجز عن وصفه وانه غير قادر عن ادراك ما يمكن ان يقال فيه ...

ولهذا يقف بين يدي ربه خاضعا، متذللا، خاشعا، مؤمنا ومحبا له وعارفا به ويقول له:-

• (-الهي-)

يبدأ بكلمة (إلهي) ويجمع فيها كل ما لله سبحانه وتعالى من صفات، ويجمع فيها كل ما لله سبحانه وتعالى من عظمة، ويؤكد فيها ما لله من عبودية موحدة، واحد احد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد، ولا يكون الا الله !!...

فيناديه بكلمة (الهي)، ومن البديع انه لم يقـــل في مناجاتـــه (يـــاالله او يارب)، وهو الله وهو الرب، ولكنه قال: (ياالهي) وذلك تأكيدا للعلقة ما بينـــه وبين ربه، ما بينه وبين مولاه، ما بينه وبين سيده وخالقه وموجده ومربيه والهه!!...

اراد ان يظهر هذه الخصوصية، ان يظهر ما بينه وبين ربـــه مـــن الايمـــان والعبودية والملكية والمحبة والمعرفة، فقال (الهي) ...

بعد ان ابتدأ بهذا اللفظ وما يحمل هذا اللفظ من معاني ومن عطـــاء ومـــا يحمل من العلاقة ما بين الحبيب ومحبوبه وما بين العبد وربه من ايمان وحب ومعرفـــة فيقول له:-

- (إلهي قَصُرتِ الألسُنُ عن بلوغِ ثَنائِكَ كما يَليقُ بِجلالِكَ)

- وهنا القصور: اما ان يكون في العقل والادراك والمعرفة ...
- واما ان يكون القصور في اللسان، ولا يتمكن هذا العضو الصغير مـــن اظهار ما لله سبحانه وتعالى من ثناء ونعم وعطايا والطاف ومنن...

او الاثنين معا، فالأنسان هو قاصر عن أن يدرك ادراكـــا كـــاملا مـــا لله سبحانه وتعالى من اوصاف وحدود ونعم والطاف، هذا من حيث الفكر والعقل...

وكذلك لسانه عاجز على ان يعدد ويذكر ما لله سبحانه وتعالى من الطـــاف ونعم وعطايا واحسان وكرم...

- أي ثناء يتمكن عليه الانسان؟؟...

وهو المحدود، العاجز، القاصر...

- أي ثناء يتمكن منه؟؟...

بالنسبة الى اللامحدود، الخالق، الموجود، المكون...

فكله عجز عن بلوغ ذلك !!... وكله تقصير الى ان يصل الى شيء من ذلك ...

- كيف يصل الى ثناء ربه؟؟... وكلما اثنى عليه احتاج الى ثناء آخر...

اليس الامام (ع) يقول في بعض ادعيته مع ربه:-

(وشُكري لك يَحتاجُ الى شُكر !!...)

وهكذا كلما يثني العبد على ربه فهو يحتاج بهذا الثناء الى ثناء اكثر، فما يقوله من ثناء هو بقدر ما يتمكن عليه في فكره وعقله، وما يتمكن عليه من هذا الجزء الصغير الضئيل وهو اللسان، ولهذا يقول:-

(الهي قَصُرتِ الالسُن عن بلوغِ ثَنائِكَ كما يَليقُ بِجلالِكَ...)

فما اثني به عليك يااِلهي هو لا يمكن ان يصل الى حد ما تليقه انت، وما يليق بجلالك وكبريائك وعظمتك، ولكن هو ما يليق بي وما يليق بعقلي وفهمي، وما يليق بلساني وعضوي !!...

وهكذا دائما لا يمكن ان يستوعب المحدود واللامحدود ولا يمكن ان يستوعب العبد ربه، ولا يمكن ان يفي لسانه بالثناء على الله تعالى ولكن لا بد ان يقول ما يتمكن ولا بد ان يثني بمقدار ما يعرف، ولا بد ان يذكره بقلبه ولسانه وعقله ومشاعره ويعيش معه دائما في كل نهاره وليله وفي كل ساعاته واوقاته وفي كل آناته ولحظاته ...

ليكون عبدا ذاكرا، محبا، مؤمنا، عارفا بربه...

ان للعارف علاقة وثيقة مع ربه، وما للعارف من درجة كمالية مع الاهه، وما للعارف من فكر وعقل او صلة الى معرفة خالقه وربه ومحبوبه ومولاه وسيده...

ان المعرفة لها درجات ولها مراتب تختلف بين شخص وآخر وتكون هذه الدرجات وهذه المراتب نتيجة لمقدار علاقة الانسان بربه، فكلما تكون العلاقة ما بين العبد وربه، ما بين الانسان وخالقه اقوى، يمكن ان تفتح له درجات المعرفة ومراتبها ...

اقول تفتح له درجات المعرفة ومراتبها لأن العبد هو بمقدار صدقه مع ربه، اخلاصه لربه، حبه لربه، يرى الله تعالى منه الحب والاخلاص والصدق والصفاء. فيفتح اليه ابوابه ويقربه اليه اكثر فأكثر، ويدنيه من معرفته اكثر فأكثر، ويرفع عنه الحجب والحواجز اكثر فأكثر، وبذلك تكون للمعرفة مراتب ومنازل ما بين العبد وبين ربه...

فكلما كان الاخلاص اكثر وكان الصدق اكثر وكان الحب اقوى وكان الصفاء اوضح، تكون درجة المعرفة اقوى وامتن !!...

كلما يكون التمسك بمحمد وآله اكثر فأكثر، تكون المعرفة بالله سبحانه وتعالى اقوى وامتن، لأنهم هم عليهم افضل الصلاة والسلام الأجلّاء الى الله ...

لأنهم هم عليهم أفضل الصلاة والسلام الوسيلة الى الله، فكلما نتمسك بهم اكثر وكلما نطيعهم اكثر وكلما نعيشهم اكثر بفكرنا... وعقولنا ... وقلوبنا... وسلوكنا... واخلاقنا... اكثر فأكثر !!...

يكونوا قد عرفونا على الله، لأنهم هم الأدلاء الى الله، ولهذا يقرن القرآن الكريم طاعة الرسول بطاعة الله في قوله تعالى:-

(وَمَنْ يُطِعِ الرسول فَقَد اطاعَ الله) ...

فهو الطريق لمعرفة الله، وهو السبيل اليه، فكلما قلنا ان العبد بمقدار صدقه وصفائه واخلاصه وحبه لربه تفتح له ابواب المعرفة ويتدرج بها تدرجا بحسب ما لديه من هذه العلاقة مع ربه ...

كذلك علاقته مع الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومع اهل بيته الطاهرين الطيبين هي الثانية التي تفتح له ابواب المعرفة بالله، وترفع عنه حجب الابتعاد عن الله وتزيل عنه الحواجز التي ما بينه وبين الله...

وكما ان التمسك بمحمد وآل محمد هو السبيل الى الله فكذلك القرآن الكريم هو السبيل لمعرفة الله تعالى !!...

لأن القرآن الكريم يؤكد علاقة العبد مع ربه وجودا... ووحدانية ... وايمانا ... وحبا ... وأخلاصا ... وخشوعا ... وتذللا... ومعرفة...

فهو القرآن الكريم يعطينا الاسس الواضحة لعلاقة العبد مع ربه، فبمقدار ما نعيش القرآن نعيش الله تعالى ونعرفه، فللقرآن دوران في ذلك:-

الدور الاول:- هو وضع الاسس الصحيحة والمتينة لعلاقة العبد مع الله ولمعنى العبودية لله تعالى والطاعة والامتثال والمعرفة لله سبحانه وتعالى ...

الدور الثاني:- هو تطهير الروح والداخل والنفس والضمير من الادران التي تحيط بها وتمنعها من الايمان بالله ومعرفته، لأن الانسان عندما خلقه الله تعالى جعل فيه فطرة الايمان بالله وجعل لديه غريزة التدين ...

الفطرة التي توصله الى الأيمان بالله، التي توصله الى الايمان بوجوده ووحدانيته وعبوديته لله تعالى التي توصله الى المعرفة بالله تعالى، التي توصله الى الحب والحاجة لله سبحانه وتعالى، التي توصله الى الأفتقار والخضوع والخشوع والتذلل لله سبحانه وتعالى...

وكما يقول تعالى في الآية الكريمة:-

(فِطرة الله التي فَطَرَ الناسَ عليها لا تَبديلَ لخلقِ الله) ...

وجعل فيه غريزة التدين لأطاعة أوامر الله تعالى، فالقرآن مهمته ان يجلي ما في الضمير والروح والقلب والمشاعر من درن يصيب هذه الفطرة ويُحرّف هذه الفطرة عن مسارها الصحيح في علاقة العبد مع ربه.

ولا اريد ان اطيل اكثر في الحديث عن هذا واعود الى المناجاة المباركة التي يناجي بها الامام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين ربه ضمن مناجاة العارفين...

فبعد ان وصل العارف في علاقته مع ربه الى درجة يصدق انه قد عرفه، بعد ان عرفه يعترف له بقصور اللسان عن بلوغ ثنائه...

عن بلوغ الثناء الذي يليق بجلاله سبحانه وتعالى وهذا ما تحدثت به في الحديث السابق، ويقول في الفقرة التي بعدها:-

- (وعَجزتِ العقُولُ عن ادراكِ كُنهِ جَمالِكَ !!...)

هكذا يخاطب ربه، هكذا يتكلم مع ربه، هكذا يناجي محبوبه وربه وسيده ومولاه ... من انه القاصر عن ان يظهر بلسانه ما لربه من ثناء وآلاء ونعم...

وهو القاصر بعقله عن ادراك ما لربه ومحبوبه من جمال وجلال وصفات وكيف ان يدرك العقل ذلك؟ وكيف يمكن ان يدرك المحدود اللامحدود؟ وكيف يمكن ان يدرك الممكن الوجود واجب الوجود؟؟...

وكيف يمكن ان يدرك المخلوق جميع ما للخالق من صفات وجلال وجمال؟؟

فالعقل قاصر عن ذلك، هو يؤمن بوجوده، هو يؤمن بوحدانيته، هو يؤمن بربوبيته وطاعته، هو يحبه ويعرفه ولكنه لا يمكن ان يحيط به...

ولكنه لا يمكن ان يصل عقله الى كمال جماله وجلاله ومعرفته...

ولهذا نرى ان الاحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسـلم) وعن الائمة الاطهار عليهم افضل الصلاة والسلام تأمرنا دائما بالتفكر بمخلوقات الله تعالى، وليس التفكر بذاته المقدسة...

لأن التفكر بمخلوقاته هي التي توصل الى معرفته، ولهذا يصف المؤمنين العارفين كما في قوله تعالى:-

(الذينَ يَتفكرونَ في خَلقِ السَموات والارض رَبنا ما خَلقَتَ هذا باطِلاً سُبحانَكَ فَقِنا عَذاب النار).

التفكر بمخلوقاته بصغيرها وكبيرها هي التي توصل العبد الى الايمان بالله ووحدانيته ومعرفته وحبه...

اما التفكر بذاته فالعقل قاصر عن ذلك، ولهذا ورد في الاحاديث ... كما قلت التفكر بمخلوقات الله وليس التفكر بذات الله...

ومن فكر بذات الله فقد هلك !!... لأنه لا يمكن ان يصل بتفكيره الى شيء لأنه ليس كمثله شيء

هو الاول والاخر والباطن، هو نور السموات والارض هو كله جلال وكله جمال، اينما يلتفت الانسان بعقله وبصره وبروحه واحاسيسه يرى جمال ربه متجسدا امامه...

- ولكن هل هو وصل الى كل ذلك الجمال؟؟؟...
- ولكن هل هو وصل الى كل ذلك الجلال؟؟؟...
- ولكن هل وصل الى المعرفة الكاملة بربه؟؟؟...

وصل الى معرفة وليس الى المعرفة الكاملة، وفي هذه الفقرة من هذه المناجاة المباركة توضيح لحدود العقل، وما يمكن ان يصل اليه من امور...

فالعقل محدود، (وكما قلت في البداية) والمحدود لا يمكـــن ان يـــدرك اللامحدود، وهكذا بعد وصوله الى درجة من المعرفة بربه مع قصوره لتوضيح مـــا لربه من ثناء وآلاء وقصور عقله لتمام المعرفة بربه، الا انه وصل الى المعرفة، وصـــل الى ايمان راسخ بوجوده ووحدانيته...

وصل الى علاقة متينة، بربه وموجده وخالقه ومولاه، هذه العلاقـــة متينـــة على اسس واضحة متينة من الاخلاص لله والصدق مع الله...

فأنكشف عنه شيئاً فشيئاً الغطاء، ورفع ما بينه وبين محبوبه ومولاه الحُجب، وازيلت الحواجز ما بينه وبينه...

وصل الى هذه الدرجة من المعرفة به، وصل الى هذه الدرجة مـــن المعرفـــة بربه، عند ذلك يقول (ع):-

• (وانحسَرتِ الابصارُ دونَ النظرِ الى سُبُحاتِ وَجهِكَ) ...

(وأنحسرت الابصار) فبعد هذا الايمان بالوجود والوحدانية وبعد هـــذا الحب والمعرفة، يكون النظر متوجه بكله وكامله اليه وحده، يكون قلبه ونفســـه وعقله وكل احاسيسه متوجه اليه وحده...

ولما كان بهذه المثابة فيكون نظره متوجهاً اليه وحده لأنه هو تعالى، لأن هـــو الحبيب الأوحد والوحيد، لأنه هو المحبوب الكبير، أخذ بكل قلـــب وروح وفكـــر واحاسيس ومشاعر عبده...

فلا ينظر الا اليه ويتجلى له دائماً محبوبه وربه ومولاه بكل ما ينظر اليـــه، ولهذا هو يرى محبوبه دائماً وفي كل شيء على قاعدة قوله تعالى:-

(انظر الى الجبل فأن استقر فأنك تراني) ...

وهكذا فهو يرى محبوبه وخالقه وربه ومن عرفه بألطافه ونعمه واياديه وفضائله في كل شيء تلك هي من صفات العارفين...

فهو يرى الله بكل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء، وبهذا فهو لا يرى سوى الله وهو لا ينظر الا لمحبوبه وربه ومولاه وسيده وخالقه...

وهنا يجمع بين النظر اليه دائما لأنه يراه في كل شيء وبين الخجل من النظر اليه، لأنه دائما يشعر بالعبودية والخشوع والخضوع والتذلل، تذلل العبد لربه وخضوع العبد لمولاه...

ولهذا يغضي من النظر اليه ولهذا يستحي من النظر اليه، هو يراه في قلبه ويراه بكل احاسيسه، ولكنه يراه وهو خجل خاضع، خاشع، لا يفتح عينيه لأسباب كثيرة واهمها سببان رئيسيان:-

١- لأنه عرف ربه، ولما عرف ربه، فعرف مقدار عبوديته لربه، وان عرف مقدار عبوديته لربه فلا بد ان يكون خاضعا وخجلا ومتذللا وخاشعا ومستصغرا لنفسه...

- أحدنا لا ينظر بوجه من يحب خجلا منه !!...
- لا ينظر بوجه من يحترمه اجلالا له !!...
- فكيف اذا كان هو العبد وذلك هو الرب؟؟...
- فكيف اذا كان هو المخلوق وذلك هو الخالق والاول والاخر والظاهر والباطن؟؟...

فهو يستحي من ربه لمعرفته بعظمته وجلاله وكبريائه.

٢- يستحي من ربه لقصوره وتقصيره، يستحي من ربه لأنه يرى انه دائم التقصير مع محبوبه وخالقه ومولاه وسيده والهه...

- والذي يشعر بالتقصير، دائما يغض النظر !!...

- والذي يشعر بالتقصير، دائما يحسر نظره عن من قصر معه لأنه يكون خجلا من فعله وعمله وتصرفه وتقصيره !!...

فهنا يشعر هذا المحب العارف بربه الذي وصل الى درجة من المعرفة بربه، يشعر بتقصيره مع ربه ومحبوبه... وهذه النسبة لا بد ان تكون...

فبمقدار المعرفة بالله تعالى يجتمع معها وضوح تقصير الانسان مع ربه...

فعندما تكون المعرفة اكبر والمعرفة امتن والمعرفة اقوى يكون الشعور بالتقصير اكثر فأكثر فأكثر !!...

وعند ذلك يكون الخجل من النظر الى المولى اكثر فأكثر والى المحبوب أكثر فأكثر والى الاله الواحد الاحد اكثر فأكثر...

ولهذا يقول (ع) في مناجاته مع ربه في مناجاة العارفين...

(وانحَسَرتِ الابصارُ دونَ النظرِ الى سُبُحاتِ وَجهِكَ)

فهي تجمع بين امرين:

- فهي لا ترى الا الله...
- وهي خجلة من النظر اليه ...

ومن ثم ينتقل الامام (ع) الى فقرة اخرى تدلل على المعرفة الاقوى وتؤكد ما في قلبه من معرفة لله تعالى:

حيث يقول (ع):-

- **(وَلَم تَجعَل للخَلقِ طَريقاً الى مَعرِفتِكَ، الا بالعَجزِ عن مَعرفتِكَ)...**

وهكذا فهو أولا:-

- اعترف بقصور اللسان عن بلوغ ثناء الله تعالى وقصور اللسان عن تعداد ما لله تعالى من نعم والاء وعطايا لا تعد ولا تحصى كما قال تعالى:-

(وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ...

فهو أولا اعترف بقصور اللسان بأن يصل بكلماته، بألفاظه بما يقوله الى شيء من الثناء لله تعالى وتعداد آلائه ونعمه وتعداد ثنائه بما يليق به وبجلاله وبعظمته وبصفاته...

وثانيا:-

- عجز العقل عن ادراك ذاته وجماله وحقيقته، هذا مع الايمان الكامل بوجوده ووحدانيته وحبه ومعرفته...

وبعد هذا القصور عن ادراك ثنائه وعجز العقل عن بلوغ كنه حقيقته وجماله مع تمام الايمان الذي استوعب كل عقله وروحه وفكره واحاسيسه ومشاعره بالشكل الذي لم يتوجه إلا اليه وحده، يقول:-

(وَلَم تجعل للخَلقِ طَريقاً الى مَعرفتِكَ الا بالعَجزِ عن مَعرفتِكَ) ...

لماذا؟؟؟... وكيف؟؟؟...

لأنه هناك كما نقول دائما واجب الوجود وممكن الوجود...

- واجب الوجود لله وحده !!...

- ممكن الوجود كل شيء سوى الله !!...

اذا استوعب ممكن الوجود واجب الوجود، يكون بمستواه، يكون بدرجته!!...

ولهذا لا يمكن لممكن الوجود -(الانسان)- بعقله القاصر المحدود ان يعرف تمام واجب الوجود الذي هو لا محدود، الذي هو لا حد له !!...

- ولهذا يقول الامام (ع):-

- من اوضح الطرق الى معرفتك...

- ومن اكبر السبل اليك والى معرفتك...

هو العجز عن معرفتك !!... فلو كنت شيئا كالاشياء لفهمك العقل، ولكنه شيئا ليس كالاشياء ولكنه هو نور السموات والارض كما قال تعالى:-

(ليسَ كمثلهِ شيء وهو السَميع العليم) ...

- اللهم اجعلنا عارفين لك ...

- اللهم ادم السنتنا على ذكرك وثنائك ...

- اللهم نور عقولنا بمعرفتك ...

- اللهم اكد ما بيننا وبينك من محبة وعلقة ومعرفة ...

- حتى لا نرى غيرك ولا نحب الا اياك ...

- حتى تكون لنا كل شيء ...

- اللهم اجعلنا عبيدا مخلصين ...

- اللهم اجعلنا عبيدا طائعين والحمد لله رب العالمين...

ما زلنا نحن مع الامام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين عليه وعلى ابائه افضل الصلاة والسلام في مناجاته لربه والتي اسماها مناجاة العارفين، التي جاءت بعد مناجاة المحبين ...

فهو يتحدث مع ربه وهو يناجي ربه وسيده ومولاه بعد ان عرفه ولهذا اسماها مناجاة العارفين، ولا تكون المعرفة الا بعد الايمان والمحبة ...

- فهو أولا آمن بوجوده ووحدانيته ...

- وثانيا احبه ...

- وثالثا عرفه وتعرف اليه معرفة تليق بالانسان وقدراته ومستواه، معرفة تليق بما يتمكن لعقل الانسان وتفكيره من الوصول اليها...

فهي اذن معرفة بحبه وليس بحب الله تعالى، فهي اذن معرفة على قدر طاقتي وليس معرفة كما هو سبحانه وتعالى ...

فهي بمقدار ما لحدود العقل من معرفة يمكن ان يصل اليها...

ولأجل هذه المعرفة يتفاعل العبد مع ربه ويناجيه واول ما يناجيه هو الاعتراف بالتقصير، فهو يريد أن يقول لربه وسيده ومولاه:-

- انا العبد وانت الرب ...
- وكيف للعبد ان يعرف مولاه ويعرف ربه وخالقه وسيده؟؟...
- كيف للناقص ان يعرف الكمال كله؟؟...
- كيف للعاجز ان يعرف القوة كلها؟؟...
- كيف للمخلوق ان يعرف الخالق؟؟...
- كيف يمكن ان يعرف هذا الانسان الحقير الذليل الخاضع المسكين المستكين الذي اوله نطفة قذرة وآخره جيفة نتنة وما بينهما حامل عذرة؟؟...
- كيف يمكن له ان يعرف تمام المعرفة ربه وسيده ومولاه وخالقه؟؟...

فالامام (ع) يبدأ في مناجاته لربه، وهذه المناجاة هي واخواتها اسس للعلاقة ما بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى...

- هذه المناجاة هي نظام عبودية ما بين الانسان وبين ربه !!...
- هذه المناجاة هي التي تضع الانسان في موضعه، تعرفه اين هو؟... وماذا هو؟... واي شيء هو؟...

(وَمَن عَرَفَ نَفسهُ فَقَد عَرَفَ رَبه)

وهنا تأتي بداية العلاقة السليمة مع الله تعالىعلى اسس وضعها الله سبحانه وتعالى لنا لنتعبد بها معه، فكان اول ما بدأ به هو الاعتراف بالتقصير، والاعتراف بالتقصير هو من ضروريات المعرفة !!...

لأن الأنسان لو عرف نفسه وبعدها عرف ربه (ولو بأدنى درجات المعرفة) فلا بد أن يعترف بالتقصير لأنه يرى عدم التناسب مابين الخالق ومخلوقه...

فمن جانب الخالق: النعم لا تعد ولا تحصى:-

١- نعمة الوجود ...

٢- نعمة الايمان ...

٣- نعمة الولاية للأسلام والقرآن ومحمد وآل محمد...

وبعدها تترى النعم بالشكل الذي لا يعد ولا يحصى، وكما يلتفت الانسان الى هذه النعم والى هذه الالطاف الالهية يشعر بالتقصير اكثر فأكثر...

عندما يرى العبد الوجود الالهي بما تحمل هذه الكلمة من معنى فيبقى حائرا ماذا يقول امام هذا الوجود؟؟...

- وكل ما يقوله هو لا شيء في هذا الوجود ...

- وكل ما يقوله هو لا يليق بهذا الوجود ...

وكل ما يقوله هو لا يصل الى شيء مما يليق بهذا الوجود...

ولهذا قصرت الالسن عن بلوغ ثنائك، الثناء الذي لا بد ان يتناسب مع المعرفة، ولما كانت المعرفة ما بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى هنا عبودية وهناك إلوهية...

فلا يمكن للعبد أن يصل الى الثناء اللازم للالوهية، فعلى أي شيء يثني؟؟... وعلى أي يشكر؟؟... كما يقول الامام (ع):-

(وشكري لك يحتاج الى شكر)

فهو عندما يشكر الله سبحانه وتعالى على شيء بلسان خلقه لـــه وبقـــوة وضعها فيه ...

فخلقه لهذا الجزء ووضع القوة فيه وقدرته على الكلام، كل هذه الامـــور تحتاج الى شكر اضافي وعندما يشكر ثانيا فيتضاعف الشكر ويحتاج منه ثناء اكـــثر للمنعم وللمفضل...

وبعد ذلك كأنه يريد أن يقول له: ياالهي وجودك ليس وجودا عاديا وانمـــا وجود كل الجلال بما لهذه الكلمة من معنى...

ولهذا لا يمكن ان يصل ثنائي لك وان يبلغ ثنائي ما يليق بـــك وبجلالـــك وبصفاتك وبآلائك وبنعمك وبعطاياك...

وباعتبارك ياالهي انت الواحد الاحد الفرد الصمد الذي ليس كمثله شـيء، ولهذا العقول لا يمكن ان تصل الى كنه معرفتك، ولهذا الامام أمـــير المؤمنـــين (ع) يقول:-

(تفكروا في خَلقِ الله ولا تتفكروا في ذات الله)!!...

لأن العقل البشري لا يمكـــن ان يصـــل الى شـــيء اذا تفكـــر في ذاتـــه المقدسة!!...

وبعد ذلك يلتفت الامام (ع) في مناجاته مخاطبا ربه ويقول:-

(وانحسَرتِ الابصارُ دونَ النظَرِ الى سُبُحاتِ وَجهِكَ...)

فهذا الأنسان العابد، هذا الانسان الذي وصل الى شيء من معرفة ربـــه، هذا الانسان الذي آمن بربه وغرفه لا بد ان يكون قد تعلق بربه...

ولما تعلق بربه اخذ كل قلبه وفؤاده ومشاعره واحسايسه، لأن التعلق يعني التفاعل، والتفاعل يعني ان تكون الاعضاء والجوارح كلها مع الذي آمنت به واحبته وعرفته...

فهو لا ينظر قلبه الا الى سبحات وجه الله تعالى، فهو لا ينظر الى شيء ولا يلتفت الى شيء ولا يعنيه شيء وانما الذي يعنيه وتفاعل معه واخذ قلبه وكل احاسيسه هو الله وحده !!...

ولهذا انحسرت كل ما يمكن له من ابصار عن كل شيء، ولا يرى شيئا لا بقلبه ولا بعينيه الا من تعلق به...

(الى سُبُحاتِ وجهِكَ) ...

من المؤكد ان الله سبحانه وتعالى ليس بجسم، ليس كمثله شيء، هو نور السموات والارض، هو الاول والاخر والظاهر والباطن...

ولما لم يكن جسما فهو لا يمكن ان يتصور أن له وجها كالوجوه، لأن الوجه من الجسم، وإن جسمناه فقد حددناه (والعياذ بالله) وان حددناه فصار من نوع ممكن الوجود وليس من واجب الوجود...

- اذن فهنا التعلق بمعنى الربوبية ...
- هنا التعلق بمصدر الالطاف الالهية ...

وهو العبد بمقدار ماله من ايمان وحب ومعرفة التفت الى ذلك المصدر والى ما يفيض من ذلك المصدر من ألطاف وعطايا وهبات !!...

ولهذا هو دائم متوجه الى ذلك المصدر، ملتفت الى الأمدادات النازلة من ذلك المصدر وهي:-

(سُبُحاتِ وَجهِهِ)...

وهكذا نرى ان التفاعل ما بين العبد وبين ربه وصل الى درجة من التفاعل والانصهار والعبودية والمعرفة والخشوع والخضوع والتذلل الى درجة لا يرى شيئا الا ماعرفه من ربه، ولا ينظر الى شيء الا الامدادات الالهية النازلة من الرب الى العبد...

اذن فانحسرت الابصار (ومعنى انحسرت) فهي لا تبصر لشيء الا لك يالهي، ولا تنظر الى شيء الا الى سبحات وجهك وامدادتك ونعمك والطافك ومننك...

فكأنها لا يعنيها الوجود بما فيه ولا يعنيها الا انت، فهي لا تلتفت الى كل ما سواك وانما تلتفت اليك وحدك، لأنك انت بعد ان خلقتها اخذت بكل قلبها ونفسها وعقلها ومشاعرها واحاسيسها ...

ولهذا فهي انحسرت الابصار دون النظر الى سبحات وجهك فهي بك ولك ومعك ومنك واليك وحدك !!...

ونرى ان الامام (ع) في مناجاته لربه وهي دروس للامة وللافراد والمجتمعات في اسس العلاقة الصحيحة مع الله تعالى...

نرى الامام فيها يجمع دائما بين الايمان والمعرفة وبين الحب والشوق والوله والاستجابة والطاعة والانصياع ...

فهو كما بدأ بالتقصير والاعتراف بهذا التقصير المركز لأن درجة المعرفة كانت عالية وعجز العقل عن ادراك الكنه الالهي جاء موضحا ورابطا بين هذه المعرفة والعجز عن ادراك الكنه وبين التوجه الكامل بكل الاحاسيس والمشاعر ما بين العبد وربه ...

فكأن هذا العجز هو معرفة، ولهذا نراه يقول في الفقرة التي بعدها:-

(ولم تَجعل للخَلق طَريقاً الى مَعرفتِكَ الا بالعَجزِ عن مَعرفتِكَ) ...

فكأنه يريد ان يقول: لو كنت طبيعيا وشيئا عاديا لعرفك الجميع بما لهم من عقول، ولو كنت هكذا يالهي لكنت مثلهم وبمستواهم كما يعرف احدنا الآخر او كما يعرف الانسان العلماء المخترعين والفلاسفة الكبار...

ولكنه لم يمكن ان يعرفك تمام المعرفة يالهي وهذا ان وصل العبد في علاقته مع ربه الى حد العجز عن معرفته فقد عرفه، لأنه عرف عند ذلك انه ليس كمثله شيء...

واذا وصل الى انه ليس كمثله شيء عند ذلك عرفه، فعرفه انه واجب الوجود وليس ممكن الوجود، وعرف ان ليس كمثله شيء أي لا يشابهه أي شيء من الموجودات...

وعند ذلك عرف انه هو الخالق وحده وليس معه أي ند ولا شريك ولا مثيل، واحد احد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا احد...

هذا العجز هو المعرفة، فعندما يكون العبد بما اعطيته يالهي من عقل وتفكير وهو اسمى ما في الوجود...

يبقى بحدود عقله ولا يمكن أي عقل ان يصل الى كنه معرفتك، يصل الى وجودك ووحدانيتك ويصل الى الايمان بك ومحبتك وطاعتك ولكن لا يمكن ان يصل الى كنه وجودك...

لأنه لو وصل الى كنه وجودك، خرجت يالهي عن درجة الربوبية، فالطريق الى معرفتك هو العجز عن معرفتك...

- فكيف للعبد القاصر أن يعرف الرب والسيد؟؟...

- وكيف للانسان ان يعرف كنه ربه وخالقه ومولاه؟...

ولكن المعرفة هي معرفة ايمان وعبودية وطاعة، ولكن المعرفة هي معرفة الالتفات الكامل الى النعم والآلاء والمنن، ولكن المعرفة هي التوجه الكامل الى الالطاف والامدادات الالهية ومحاولة التفاعل معها واستيعابها...

وهذا ما يحاول أن يؤكد عليه الامام (ع)، وكما قلت قبل قليل يجمع بين الايمان والمعرفة وبين التفاعل الذي فيه الحب والشوق وفيه الفناء وفيه التفاعل الكامل بين كل اجزاء العبد وبين ربه...

ولهذا يقول الامام (ع) في الفقرة التي بعدها:-

- (الهي فأجعَلنا مِنَ الذينَ تَرسخَتْ اشجارُ الشوقِ اليكَ في حدائقِ صُدورهِم)!!...

بعد المعرفة التي بيناها، لا بد ان تتمازج المعرفة مع النفس والروح والداخل والاحاسيس

وانما المعرفة تراد لما تحدث من ترابط بين العارف وما عرف، لا بد ان تحدث تفاعل ما بين العبد العارف وبين الله سبحانه وتعالى الذي وصل الى معرفته، وهذا الترابط حسب ما يعبر عنه الامام (ع):-

فكأن هناك ما بين داخل العبد العارف وبين مولاه خيوطا واسلاكا (عَبَّرَ عنها الامام بأشجار) !!...

فكأن المعرفة التي حصلت ما بين العبد وبين ربه زرعت في قلب العبد زرعاً كثيرا، فيريد الامام ان يكون هذا الزرع متصلا بزارعه، وان تكون هذه الاشجار التي سقاها هو متصلة به، وان تكون هذه الغصون غصونا طويلة تربط ما بين قلب العبد وبين ربه...

ويريد ان تكون هذه الاشجار اشجارا مثمرة في ترسيخ معنى العبودية والمعرفة، وفي تقوية العلاقة السليمة القائمة على اساس الايمان والعبودية والمعرفة والشوق والحب !!...

فالامام يريد من العارفين بالله سبحانه وتعالى ان تكون قلوبهم اشجار عالية متصلة مع الله سبحانه وتعالى ...

الامام يريد منا جميعا ان نكون عارفين، واول العارفين هو محمد وآل محمد والصحابة الاتقياء ومن والاهم وتبعهم...

يريد من هؤلاء العارفين ان تترسخ المعرفة في قلوبهم، وان تكون هذه الاشجار دائمة السقاية ما بينهم وبين ربهم، وان تكون هذه الاشجار اشجار مثمرة، سواء كان في المعرفة في الحب او في الشوق او في الطاعة والسلوك والاخلاق، كما جاء في الحديث:

(تخلقوا بأخلاق الله) ...

هو ليس بجسم كما قلنا... فالشوق اليه شوق لمعنى الربوبية، وشوق اليه هو شوق للألطاف الصادرة من ذلك المعنى المقدس...

- الشوق اليه لأوامره بأمتثالها ...
- الشوق اليه شوق لمعرفة ما ينهى والانتهاء عنه ...
- الشوق اليه شوق الى رسالته وشريعته ...
- الشوق اليه شوق الى نبيه وقرآنه ...
- أين هذه الاشجار؟؟؟...
- وفي أي مكان؟؟؟...

يقول الامام (ع):-

(في حدائق صدورهم) !!...

فكأن الصدر عندما يتعلق مع الله سبحانه وتعالى يكون حديقة، عندما يكون ظرفا متعلقا مع الله يكون جنة كيف لا؟؟... والله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسي:-

(لم تسعني السموات والارض ووسعني)!!...

(قلب عبدي المؤمن) ...

(وقلبه في صدره) ...

فهذا الصدر الذي يعبر عنه الامام (ع) (في حدائق صدورهم) فكأن صدورهم حدائق، وهذه الحدائق كل حديقة منها متوجهة الى طرف من معرفته... كل حديقة منها متوجهة الى نوع من نعمه وملتفتة الى نوع من امداداته وعطاياه ومننه !!...

شوق، اندفاع، وله، رغبة، تفاعل، فهو ليس بحب جامد وهو ليس بحب من طرف واحد لأنه يحبهم ويحبونه، هو ليس حب لشيء جامد...

- وانما حب مع تمام التفاعل !!...
- وانما حب مع تمام الانصياع !!...
- وانما حب مع تمام الفناء !!...

ولهذا يصل الى درجته القصوى ويكون شوقا، هذا الحب الذي لا يشابهه أي حب اخر، وهذا الشوق الذي لا يمكن ان نقربه بأي شوق آخر ...

لأن المحبوب ليس كمثله شيء، لأن من نشتاق اليه هو الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد...

ولأجل هذا الشوق العميق في صدورهم وفي قلوبهم وفي عقولهم وفي مشاعرهم...

ولأجل هذا الشوق المتأصل نتيجة المعرفة فهم في لوعة، فهم لا يهدأ لهم قرار، فهم لا يمكن ان تسكن قلوبهم وصدورهم وعقولهم ومشاعرهم...

فهم يريدون القرب اكثر، فهم عاشوا النعيم مع الله، ولا يمكن للذي يذوق حلاوة القرب مع الله سبحانه وتعالى ان يروم عنها بدلا، وان يعوضها بالدنيا وما فيها ولا حتى بالجنة !!...

لأن القرب هو الرضوان، والرضوان هو اكبر من الجنة وما فيها !!...

ولهذا تكون حالة لوعة، حالة عدم استقرار وعدم قرار، هذه حالة اللوعة للمعرفة من جانب وللشعور بالقرب من جانب آخر، فهو يعلم أنه اقرب اليه من حبل الوريد...

فلما كان هو عارف به ويشعر بقربه فيريد الاكثر فالأكثر، ولهذا يقول الامام (ع):-

• (واخَذَت لوعةُ محَبتِكَ بمجامِعِ قُلوبِهِم) ...

هذه الاشجار التي زرعت ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى في صدورهم، هذه الاشجار ليست اشجار يابسة وانما اشجار رطبة وفيها ثمار ناضجة طرية لذيذة!!...

اكدت كل معاني العلاقة مابين العبد وبين الله تعالى ولما اكدت كل معاني العلاقة ما بينه وبين الله وبين ربه وسيده ومولاه...

بقي في لوعة، يريد القرب اكثر، يريد الوصل اكثر، يريد الكشف اكثر، فلا يرى في قلبه شيئا سوى الله، ولا يملأ قلبه شيء سوى الله، ولا مجال في قلبه لأحد سوى الله سبحانه وتعالى !!...

فكما أن الله تعالى هو الاول والاخر وهو الظاهر والباطن كذلك في قلبه هو الاول والاخر وهو الظاهر والباطن ...

ولهذا تراه دائما في لوعة !!...

تراه دائما متفاعلا مع محبوبه !!...

تراه دائما متفاعلا مع من عرف !!...

فهو معه في وحدته وهو معه بين الناس وبين الجماعة وهو معه في جامعته وهو معه في متجره وهو معه في مصنعه وهو معه اينما يكون...

وليس معه فحسب وانما معه مع تفاعل ولهذا في لوعة، وهذه اللوعة ليست في جانب من جوانب قلبه وانما بكل قلبه، لأنه يمكن ان يكون القلب متجزأ وله اجزاء متعددة وله تفكيرات ومتعلقات متعددة...

اما هنا فلا... فلا... فلا...

القلب كله لله سبحانه وتعالى، ولهذا هذه اللوعة بمجامع قلوبهم، ليس بزاوية خاصة ولا بمكان منفرد لأن قلبه ليس فيه غير الله...

ولهذا تراهم كما يعبر عنهم الامام (ع):-

• (فَهُمْ الى اوكارِ الافكارِ يأوون) ...

الفكر دائما متعلق مع القلب، القلب اينما يتجه يتجه الفكر معه، وعندما يكون القلب متوجها الى الله تعالى بكل مشاعره فيكون الفكر مع الله تعالى بكله...

عند ذلك يلتفت هذا العارف المحب الى الافكار التي تربط ما بينه وبين محبوبه يذهب، يأوي اليها لأن هذا الفكر مما يقربه الى محبوبه، لأن هذا الفكر يرسخ ما بينه وبين محبوبه ...

سواء كان هذا الفكر:-

- فكر بوجوده ...

- فكر بوحدانيته ...
- فكر بحبه ...
- فكر بالشوق اليه ...
- الفكر بعطاياه ومننه...
- الفكر بأوامره ونواهيه ...
- الفكر بقرآنه ونبيه ...
- الفكر بالائمة الاطهار وبالصحابة الكرام والسلف الصالح ...

كل ذلك يؤكد علاقة هذا العبد المحب لله تعالى ولهذا ترى من لوعته المتزايدة يأوي الى هذه الافكار التي تؤكد ما بينه وبين المحبوب !!...

فتراه يقرأ القرآن ويقرأ آيات العبودية ما بينه وبين ربه ويقرأ آيات الجنة والنعيم، وتارة يقرأ ايات العقاب والعذاب

- فهم والجنة كمن قد رأوها !!...
- وهم والنار كمن قد رأوها !!...

فهو بعد اللوعة والشوق والمحبة والمعرفة، تراه يذهب الى الوكر الذي يحمل الافكار الألهية والافكار التي توصله مع الله تعالى وتؤكد علاقته بالله تعالى...

ومن هذه الافكار التي يأوي اليها وهو بشوقه ولوعته:-

• (وفي رياضِ القُربِ والمكاشَفَةِ يَرتعون) ...

بمقدار ما يسقي الأشجار التي في صدره تؤتي ثمارها ومن ثمارها هو القرب!!...

بمقدار ما تنضج اللوعة في قلبه تكون النتيجة هو القرب، عندما نقول القرب هو الشعور بالقرب ...

لأنه ليس جسما حتى اقترب منه او ابتعد عنه وانما الشعور بالقرب، فـــهو معي...

وتكون نتيجة القرب –(المكاشفة)– ومعنى المكاشفة:– هو التفاعل التــام بقلبه ونفسه وعقله وروحه مع ربه، واذا حصل هذا التفــاعل فتكــون المكاشــفة وعندما تكون المكاشفة يكون كما في الحديث القدسي:–

(ما زالَ عَبديَ المؤمنُ يَتقربُ اليَّ بالنوافلَ حتى احبـــــه، فـــأن احببته فأكونَ عَينهُ التي تَرى واذنهُ التي تَسمعُ ويدهُ التي تَبطش) ...

لأنه تفاعل مع ربه تفاعلا اوصله لهذا القرب !!...

لأنه غرز اشجار المحبة ما بينه وبين ربه ونماها وغذاهـــا وســقاها حــتى اثمرت!!...

ولما اثمرت اعطته القرب ولما اعطته القرب كانت نتيجـــة القــرب هــو المكاشفة ...

ولهذا عندما يقول الامام في صفة اصحابهم:–

(فَهُم والجنةِ كَمن رأوها فَهُم فيها مَنعمون، وهُم والنارِ كمـــن رأوها فَهُم فيها مُعذبون) ...

تلك هي المكاشفة !!...

- اللهم اجعلنا ممن زرعت في قلوبنا اشجار محبتك ...
- اللهم اجعلنا ممن جعلت المحبة في قلوبنا وزدها لوعة ...
- اللهم أجعلنا ممن تقرب اليك فقربته وتوجه اليك فقبلتـــه واســتغفرك فغفرت له...

ما زلنا نتحدث عن مناجاة العارفين، ما زلنا نتحدث عنه الانهر العذبة الــتي توصلنا الى العين الصافية الرائعة الجميلة...

ما زلنا نتحدث عن الانهر التي توصلنا الى العين التي ان شربنا منها لانظمأ بعدها ابدا...

ما زلنا نتحدث عن معاني لا يمكن ان تترجمها الكلمات ولا يمكن ان يصل اليها الفكر الا بأحساسها ولا يمكن ان يعقلها العقل الا ان يعيشها ...

الا ان مهمة الكلمات هي ان تقرب بعض المعنى والذي يبقى هو امدادت الهية يعطيها ويمدها لمن يشاء ممن توجه اليه واخلص في توجهه...

والذي يبقى هو ألطاف ربانية يتلطف بها على من رأى الصدق في قلبه وروحه وضميره ونفسه...

وتحدثنا في الفقرات الماضية وابتدأنا بقوله (ع):-

(وانحسَرتِ الابصارُ دون النظرِ الى سُبُحاتِ وَجهِكَ)

وتحدثنا في معناها ورب ان يكون لها معنى اخر وهو ان الانسان العارف بالله سبحانه وتعالى والذي وصل الى درجة من درجات معرفته بربه وسيده وخالقه وقصر لسانه عن ثنائه وعجز عقله عن كنه جماله...

هنا وانحسر بصره فهو لا يمكن ان ينظر الى محبوبه والى أي شيء من متعلقاته، كما ان اللسان قد قصر والعقل قد وقف...

فكذلك الابصار قد تقف، فهو وصل الى درجة من معرفته بالله تعالى، حتى توقفت كل اجزائه عما يمكن ان تقول او ان تفكر او ان ترى...

وهذا شأن المحب مع حبيبه !!... يصل الى درجة مع حبيبه فهو يستحي ان يراه ويستحي ان ينظر اليه !!...

فهنا قوله (ع) كأنه عاش ربه، عاشه بعقله ونفسه وروحه وكل احاسيسه ولكن تبقى كل جوارحه وكل اجزائه عاجزة عن ان تصف شيئا وعن ان تفهم شيئا عنه ومن ان تنظر الى شيء منه ...

فهو في حالة معينة مع ربه ومع حبيبه تكتنفها الخجل والحياء، وهذه الحالة التي يكتنفها الخجل والحياء او الاستحياء منعته من ان يبصر الى شيء او ان يرفع بصره حتى ينظر الى شيء ...

فهو مطرق لأمرين رئيسين :-

الامر الاول:- فهو يمثل معنى، والعبودية هو تذلل وخضوع واطراق ...

الامر الثاني:- يمثل معنى الحب والحب هو خجل واستحياء

فهو لا يتمكن ان يبصر، فكلما عنده هو في قلبه وفي داخله، يعترف بالعجز عن معرفة ربه ومع هذا الاعتراف ملأ قلبه بأشجار المحبة الى ربه وسيده وخالقه...

ومع هذا الاعتراف بالعجز ترسخت تلك الاشجار واثمرت واينعت بألذ الثمار واجمل الثمار...

حتى وصل الى درجة اللوعة ما بينه وبين حبيبه ما بينه وبين سيده ومولاه، لما وصل الى درجة اللوعة فأخذ بكل عقله ولبّه وتفكيره...

ولهذا لا يخرج من جانب من جوانب حبيبه حتى يدخل الى جانب اخر، ولم ينته من صفة حتى يدخل الى صفة اخرى، ولم يكمل لطف من الطافه الا ويدخل بلطف اخر...

(فَهُمْ الى اوكارِ الأفكارِ يأوون) ...

ففكره وعقله وروحه ونفسه كلها مع ربه وسيده ومحبوبه ومولاه...

(وفي رياضِ القُربِ والمكاشَفةِ يَرتعون) ...

اعلى درجات القرب ما وصلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يقول تعالى:-

(فكانَ قابَ قوسينِ او ادنى فأوحى الى عَبدِهِ

ما اوحى ما كَذَبَ الفؤادُ ما رأى) ...

هذا وفي الروايات انه كان معه سيد ملائكة الله جبرائيل (ع)، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرتفع ويقترب اكثر فأكثر الى ان وصل الى درجة وبلغ منزلة ارتفع هو وحده دون جبرائيل (ع)

- فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):- ياحبيبي جبرائيل ادنُ مني...
- فقال جبرائيل (ع):- لو تقدمت انملة لاحترقت !!...
- فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) هو سيد الاولين والاخرين احب خلق الله رب العالمين، لم يعرف الله احد مثله ...
- وكان سيدنا ومولانا ومقتدانا امير المؤمنين سلام الله عليه الذي هو تربية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي هو في حضن رسول الله صغيراً ومعه شاباً وكهلاً، كان معه عند نزول الوحي عليه، وفي الروايات كان يقول له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):-

(انّكَ تَسمعُ ما اسمَع وتَرى ما ارى ولكنّكَ لسَتَ بنبي) ...

هذه هي اعلى مراتب القرب وهذه هي اسمى معاني القرب وهذا القرب كما تعطينا الآية المباركة في القرب النبوي من الأله...

هذا قرب القلب، وهذا قرب النفس، وهذا هو قرب الروح، وقرب العقل والاحساس، لأن كل هذه المعاني هي تكون في القلب وفي الفؤاد فالاية تقول:-

(ما كَذَبَ الفؤادُ ما رأى) ...

انه وصل بروحه وقلبه ونفسه وفؤاده وعقله الى درجة من القرب لا يمكن ان توصف، وهكذا الائمة الاطهار وهكذا الصحابة الكرام وهكذا السالكون طريق الله كلهم يبتغون القرب بدرجات، بحسب ما هم صادقين مع الله...

- وبحسب ما أصفوا الأخلاص ما بينهم وبين الله ...
- وبحسب ألطاف الله سبحانه وتعالى لهم وامدادت الله تعالى اليهم...

(وفي رياضِ القُربِ والمكاشَفةِ يُرتعون) ...

فهم في حالة مكاشفة، يرتعون بمعنى انهم:-

١- في منتهى السعادة في منتهى الاطمئنان والراحة...

٢- بمعنى الحركة الدائمة والتفاعل المستمر...

فعندما نقول يرتع في حديقة يعني: يتجول في تلك الحديقة ويشم في كل لحظة رائحة معينة عطرة ويستلهم في كل لحظة الهام خاص لا يشبه ما قبله ولا ما بعده !!...

ليس في زمان معين، وليس في مكان معين ولا في وقت معين، لأن القرب هو قرب دائمي وليس قرب محدد بوقت او مكان او زمان...

ولهذا يرتعون بكل وقتهم ويرتعون بكل زمانهم ويرتعون بكل يومهم وشهرهم وسنتهم وعمرهم، ما دام الوقت مع الله، فهم في جميعه في حالة قرب وما داموا في حالة قرب فهم يرتعون ...

فهم يرتعون ما دام هناك إمدادات الهية وما دام هناك عطايا ربانية فهم يرتعون بين هذه الامدادات وتلك العطايا، ويشعرون لكل واحدة رائحة معينة ولكل منها طعم ولذة لا يمكن ان يشابهها شيء...

وبعد هذه الجولة من القرب والمكاشفة ما بين الانسان وربه ما بين المحب وحبيبه، يقول الامام (ع):-

• (ومِنْ حِياضِ المحبةِ بكأسِ الملاطَفةِ يَكرعُون) ...

فكأنه هناك حياض متعددة !!... وليس حوض واحد، ومرة ان تكون هذه الحياض بدرجة واحدة ومترلة واحدة، فحوض الى جانب حوض !!...

ومرة ان تكون هذه الحياض بمنازل متعددة ودرجات مختلفة، كأنه اراد (ع) في قوله ان الحب لا بد ان يكون لألطاف من حبيب الى محبوبه...

- فلماذا نحب من نحب؟؟؟...

نحبه لمننه والطافه، نحبه لعطاياه وكرمه، فيريد أن يمثل لنا أن هذه العطايـــا والالطاف وان هذا الكرم...

- كل لطف هو حوض !!...
- كل امداد هو حوض !!...
- كل كرم هو حوض !!...

ولهذا هذا العبد المحب، هذا العبد المشتاق، هذا العبد الوله تراه يطوف على حياض محبوبه ولهذا يعبر الامام:-

(ومِنْ حِياضِ المحبة) ...

كأن هذه الحياض هي التي تمثل الألطاف الالهية التي ربطت العبد مع ربـــه وسيده ومولاه...

كأن هذه الحياض تمثل النعم الربانية التي جعلت العلاقة ما بين العبد وربـــه علاقة حب ومعرفة وشوق ووله وفناء...

ولهذا تراه يتجول بين هذه الحياض وكأن هذه الحياض هي اسلاك متصلـــة ما بين العبد وبين الرب ...

فبمقدار ما يدور على هذه الحياض، هو يتمسك بتلك الالطاف ويلتمـــس تلك الامدادت...

كأس الملاطفة مرة ان تكون من المولى وهو اللطيف بعباده وهـــو الـــذي يتحبب الى عبيده وهو الذي يحبهم ويحبونه، فهو اولا يحبهم !!...

ولو لم يكن يحبهم لما اوجدهم ولما خلقهم، لما جعل فيهم الايمان والفطرة، لما ارسل لهم الرسل، لما هداهم...

فهنا الملاطفة عبارة عن الالطاف الالهية النازلة من لدنه سبحانه وتعـــالى الى هذه الحياض، والمحب يتمسك بهذه الالطاف...

وما دام الكلام في الحوض والحياض فهو يكرع منها، فهو يشرب منها، فهو يلتذ فيها، فهو يرتوي منها، ودائماً لفظة (يكرع) تأتي بعد الظمأ الشديد!!...

فهو دائماً يشعر بالوله الشديد وبالحب الشديد ولهذا يحتاج الى ان يكرع ليملأ شيئاً من حبه وشوقه ولوعته !!...

وتكون المعاملة ما بينه بين ربه ليست بعبودية فحسب وليست بأمتثال اوامر فحسب وليست بأنتهاء عن نواهٍ فحسب !!...

وانما كل ذلك يتم مع سعادة وتفاعل وراحة ولطف، فهو متلذذ مع ربه وهو سعيد بعبوديته وسعيد بألطاف ربه النازلة اليه ...

فقد تقرب الى الله سبحانه وتعالى، وشرح صدره ما بينه وبين ربه، ولهذا فهو صفحه كاملة مفتوحة ما بينه وبين الله، فيقول له :- - انت حبيبي الا وحد...

- لا أحب غيرك ...
- انت ملكت قلبي وروحي ونفسي وعقلي واحساسي ...
- انت ربي وسيدي ومولاي وحبيبي ...

بعد القرب تكون هكذا العلاقة ما بين العبد وبين ربه، علاقة عبودية مع ملا طفة !!... علاقة طاعة مع ملا طفة !!...

فهو ربه وسيده ومولاه وهو مربيه، وهل تنتهي هذه الحياض ؟.؟... وهل يجف هذا الماء ؟؟... وهل يمكن تنتهي الامدادات الالهية ؟؟... وهل هناك نهاية للالطاف الربانية ؟؟....

كلا ... ثم كلا ... فهم يكرعون ويكرعون وهم في روضٍ مع ربهم يعيشون، وبعد ان وردوا هذه الحياض وشربوا بهذه الكؤوس واخذوا يكرعون ما أمدهم حبيبهم من الطاف يقول (ع) :-

• (وشرايع المصافاة يردون ...)

- تلك هي نتيجة طبيعية للقرب !!...
- تلك هي نتيجة طبيعية بعد المكاشفة !!...
- تلك هي نتيجة طبيعية بعد ورود حياض المحبة !!...
- تلك هي نتيجة طبيعية بعد شرب الكؤوس من الالطاف الربانية !!...

فأنهم يصلون الى شرايع المصافاة مع ربهم، كل ذلك حصل لهم من صفاء العلاقة مابينهم وبين الله، كل ذلك حصل لهم من الصدق الكامل ما بينهم وبين الله تعالى ...

صفاء لا تشوبه شائبه، صفاء لا يكدره شيء مادي او معنوي، صفاء بكل ما في الكلمة من معنى للصفاء ...

صفت ارواحهم وصفت نفوسهم وصفت عقولهم وصفت مشاعرهم وصفت احاسيسهم بصدق كامل ففتحت لهم الابواب ...

ولما فتحت لهم الابواب :-

- وَلَجوا الباب الاول :- فكان

(العجز الكامل عن الثناء)

- وولجوا الباب الثاني فكان :-

(العجز الكامل عن معرفة كنهه)

- وولجوا الباب الثالث فكان :-

(العجز الكامل عن النظر ألى شيء منه)

وولجوا الباب الرابع فكان :-

(الاعتراف الكامل بالعجز عن كنهه)

- وولجوا الابواب التي بعدها مع العجز والتقصير فكان قولهم :-

(ليس لنا ما بيننا وبينك الا الحب)

وترسخت المحبة واشتد الحب حتى وصل الى اللوعة واخذ الحبيب كل عقلهم وتفكيرهم، قرّبهم اليه، كشف لهم،اخذوا يردون حياضه، اخذوا يشربون من كأسه اخذوا يرتعون ويكرعون !!...

وهنا وضح لهم الشرايع مابينهم وبينه اكثر فأكثر، وضح الطرق مابينه وبينهم اكثر فأكثر، أليس الحديث القدسي يقول بالمعنى وليس بالنص :-

(عبدي تقرب اليّ فوتاً اتقرب اليك قدماً تقرب اليّ قدماً اتقرب اليك مترا تقرب اليّ مترا اتقرب اليك ميلا) ...

كذلك هنا، تقربوا اليه، صدقوا، حصل الصفاء ما بينهم وبينه، يصلون الى درجة انه سبحانه وتعالى وشرايع المصافاة يردون ...

جعل لهم شرايع، طرق حتى يردونه حتى يعرفونه اكثر فأكثر وهم الذين اعترفوا بالعجز عن معرفة كنهه ...

يوضح لهم الطريق ويُبصِّرَه لهم، يعطيهم الضوء اكثر فأكثر، وكلما يتركز الصفاء فيهم، يردون القرب اكثر فأكثر وكلما يحصل الفناء في داخلهم يردون شرايع المصافاة معه اكثر فأكثر ...

فهناك طرق المعرفة ما بين العبد وبين ربه، لا بد ان هو يطرقها، فأن طرقها بصدق وصفاء واخلاص، فتفتح له الابواب ...

ولهذا يقول الامام (ع) :-

(وشَرايعَ المصافاةِ يَرِدون)...

في المرحلة السابقة :

كانت حياض، اما في المرحلة التي بعدها (شرايع) والشريعة هو – النهر الكبير – ولهذا تكون الابواب مفتحة اكثر ...

• (قد كُشِفَ الغِطاءُ عن أبصارِهِم)

ولما يصلون في علاقتهم ومعرفتهم مع الحبيب الى هذه الدرجة ويردون الحياض ويردون شرايع المصافاة عند ذلك يكون قد كشف الغطاء عن ابصارهم !!...

- لأن الغطاء يكون من بعد الانسان عن الله سبحانه وتعالى !!...
- لأن الغطاء انما يكون لما يحيط الانسان من معاصي وموبقات تبعده عن الله سبحانه وتعالى !!!...
- لأن الغطاء انما يكون لجهل الانسان بربه وسيده وخالقه ومولاه!!...

فاذا صدق مع الله وصفى ما بينه وبين ربه واخلص النية مع ربه وسيده ومولاه وورد حياضه وبعد ذلك ورد شرائعه ...

فأنه بذلك يكون قد كشف الغطاء عن بصره، ولهذا نرى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي هو أشرف الاولين والاخرين وحبيب رسول رب العالمين كان قد كشف له الغطاء ونرى أن الامام أمير المؤمنين وسيد الساجدين وامام الموحدين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد كشف له الغطاء وهو القائل:-

(لو كُشِفَ لِيَ الغِطاءُ ما ازددتُ يقينا)!!...

وهكذا كان اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين تفاعلوا مع روحه وفكره وتفاعلوا مع عقيدته وقرآنه وتفاعلوا مع سنته وشريعته وتدرجوا في علاقتهم مع الله تعالى، كانوا قد كشف لهم الغطاء بدرجة من الدرجات...

وكان اصحاب امير المؤنين عليه افضل الصلاة والسلام بمقدار ما تفاعلوا مع الامام وبمقدار ما تتلمذوا على يديه وبمقدار ما استنهلوا من علومه وفكره واخلاقه كانوا قد كشف لهم شيء من الغطاء...

وهكذا اصحاب الائمة الاطهار سلام الله تعالى عليهم، فنرى ان اصحاب الامام الحسين عليه السلام كانوا وهم في اشد ساعات الحرج، كانوا والحرب دائرة ما بينهم وبين الاعداء واذا هم يتمازحون فيما بينهم...

فنرى برير الذي هو احد اصحاب الامام الحسين (ع) يمازح احد اخوانه من اصحاب الامام الحسين (ع) فيقول له ذلك:- أهي ساعة مزاح؟؟...

فيجيب برير:- هي هذه ساعة المزاح وما هي الا لحظات ونعانق الحور العين !!...

هكذا فقد انكشف لهم الغطاء ووصلوا الى درجة عليا في علاقتهم مع الله تعالى ...

هكذا تكون لديهم الحقائق الالهية الواضحة الى درجة انهم يرونها ويكون الغيب لديهم الى درجة يكون كالشهادة فلا فرق عندهم بين ما يرونه بأعينهم وبين ما يرونه بقلوبهم...

ولهذا تصل درجة المصافاة مع الله تعالى ودرجة الصفاء ودرجة العبودية ودرجة المحبة ودرجة الاخلاص الى مرتبة كما في قوله تعالى:-

(وكشَفنا عَنكَ غِطائَكَ فَبصرُكَ اليومَ حَديد) ...

عند ذلك يكون البصر حديدا، يكون البصر نافذا وتكون البصيرة لا حدود لها، يكون القلب لا حدود له ...

حيث ان هناك عالمان عالم شهادة !!... وعالم غيب !!...

- عالم الشهادة:- هو عالم الحياة الدنيا ...
- عالم الغيب:- هو عالم الآخرة...

وهناك جسر ما بين هذين العالمين، بمقدار ما يتمكن الانسان من تحقيق العبودية في نفسه، ومن صفاء العلاقة مع ربه، يكون هذا الجسر بين العالمين، قليلا... وقليلا... وقليلا... وقليلا...

حتى يصل الى درجة الصفر !!... فأذا وصل الى درجة الصفر يكون:-

(فكَشَفنا عنكَ غِطائكَ فبَصرُكَ اليومَ حَديد) ...

ما خافيا بالامس ظهر له اليوم !!... وما كان لم ينظر له بالامس نظر لـــه اليوم !!...

لأنه عند ذلك يكون العالمان لديه عالم شهادة ولهذا يقول الامام (ع):-

(وشرايعَ المصافاةِ يردونَ قد كُشِفَ الغِطاءُ عن ابصارِهِم) ...

فكأن البصر من شأنه ان يرى ولكن هناك موانع لهذه الرؤيا، ولكن هنـــاك حواجز لهذه الرؤيا، ولكن هناك حجابات لهذه الرؤيا...

اما بعد تحقيق العبودية المطلوبة وبعد تحقيق الاخلاص ما بين العبـــد وبـــين ربه...

اما بعد تحقيق الحب ما بين الحبيب ومحبوبه ووصـــل الى درجـــة الشـــوق واللوعة...

عند ذلك عاش الانسان حياة الصفاء مع الله وحياة الفناء مع الله، تكـــون النتيجة -(كُشف الغطاء عن الابصار)- ...

اذا كان كما في الحديث:-

(اتقِ فراسةَ المؤمن !!... فأنهُ يَرى بنورِ الله !!...

فأنهُ يَنظرُ بنِور الله)!!...

هذه درجة من درجات الانكشاف وهذه اول مراتب الانكشاف، فكيـــف بهذا المؤمن (اذا اتصل مع الله اتصالا خالصا) عبدا ذليلا خاضعـــا خاشـــعا متذللا لربه سبحانه وتعالى...

وأحبه من كل قلبه وفؤاده وروحه ونفسه وعقله وجوارحه واحاسيسه وتفاعل مع هذا الحب الى ان وصل الى درجة الشوق وازداد حتى وصل الى درجة اللوعة وكثر حتى وصل الى درجة الفناء !!...

فسيكون كما قال تعالى:-

(وكشفنا عنكَ غطائكَ فَبصرُكَ اليومَ حديد) ...

عند ذلك لا حواجز ولا موانع، عند ذلك عندما يقرأ القرآن ويقرأ سور الجنة فهو يراها ويتنعم فيها، وعندما يقرأ سور النار والعذاب فهو يراها ويخشاها ويخافها، وعندما يقرأ آيات العلاقة مع الله تعالى حباً وطاعة ورضواناً، يعيش كل هذه المعاني مع الله تعالى...

يعيشها ليس بفكره فحسب وانما بفكره وبكل احاسيسه ومشاعره...

اذن كان حالة عمى !!... عندما يكون الانسان بعيداً عن الله، عندما يكون الانسان بعيداً عن العبودية لله، عندما يكون الانسان بعيداً عن حبه لله...

ذلك الحب الذي فيه طاعة وامتثال وانصياع وخضوع وتذلل، عندما يكون بعيداً عن هذا، يكون كالأعمى.

لا تعمى العيون !!... ولكن تعمى القلوب !!...

عندما تكون احاسيس العبد ومشاعره وعندما يكون قلبه وروحه ونفسه وعقله وضميره متعلق بغير الله

- يكون هو العمى ...
- يكون هو الضلال ...
- يكون هو الخسران !!...

وعندما يكون مع الله يكون هو الفوز والربح والنصر والخير ويكون قد كشف الغطاء عن ابصارهم ...

لأنهم عاشوا الله بكل ما في الكلمة من معنى، وبعد ذلك يكمل الامام (ع):-

• (قَد كُشِفَ الغِطاءُ عن ابصارِهِم وانجلَت ظُلمةُ الرَّيبِ عن عقائدِهِم وضمائرِهِم) ...

تلك هي طبيعة الانسان، فهو قبل ان يلتفت الى نفسه، قبل ان يستجيب لفطرته، قبل ان يعود للميثاق الذي أخذه ربه منه في عالم الذر قبل وجوده الجسماني !!...

قبل ان يصحح المسيرة ما بينه وبين ربه، قبل ان يحاسب نفسه، قبل ان يتوجه الى ربه وحبيبه وسيده ومولاه وخالقه، كان في ظلمة...

اما بعد التوجه يكون النور كما في قوله تعالى:-

(الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) ...

فهو قبل التوجه الى الله سبحانه وتعالى وقبل التسلك في طريق الله تعالى، وقبل الالتفات الى الله تعالى (ونقصد من الالتفات):-

هو التفات الروح والقلب والعقل والنفس والاحاسيس والجوارح والضمير ...

قبل هذا الالتفات، كان في ظلمة، ويمكن ان تكون هذه الظلمة مع الذكر الظاهر، لأن المطلوب من العبد هو ليس الذكر الظاهر فحسب، وانما التفاعل الكامل مع الذكر الظاهر في قلبه ونفسه وروحه وعقله وكل بواطنه واحاسيسه...

حتى فعلا تكون النتيجة: العلاقة الصحيحة مع الله تعالى، ولهذا نرى الكثيرين ممن يذكرون بألسنتهم ولكن ليس لهم في دواخلهم ما لله من ذكر...

فنراهم بعيدين عن الله سبحانه وتعالى بسلوكهم، بورعهم، بتقواهم، بصلاحهم، اذا تيسر لهم الحرام يكونوا من المتسارعين اليه !!...

ولا يظهر الورع في لسانهم، فيستغيبون !!... ويكذبون !!... ويفتنون !!... لأن هذا ذكر ظاهري وليس ذكرا قلبيا والله سبحانه وتعالى يريد ممن يسير اليه ويسير في طريقه ...

ان يكون:-

قلبه متصلا به، دائم الاتصال من دون انفكاك ولا انقطاع، وهكذا شأن العارفين بالله سبحانه وتعالى السائرين في طريقه، المحبين المشتاقين الولعين...

وهكذا وصلت الدرجة بهؤلاء العارفين السائرين بخط الله تعالى الى مرحلة:-

(قد كُشِفَ الغِطاءُ عن ابصارِهِم وانجلَت ظُلمةُ الرَّيبِ عن عقائدِهِم وضمائرِهِم)...

فهو قبل وضوح العلاقة ما بينه وبين الله سبحانه وتعالى، وقبل ان تكون هذه العلاقة التي تجمعه ما بينه وبين محبوبه مبنية على اسس واضحة...

كان قد أخذه الشك والشبهة، وكان قد وسوس له الشيطان كثيرا من الامور، كان قد تغلغل الشيطان في قلبه، كان قد تأثر قلبه وعقله من نزغات الشيطان !!...

اما بعد اتصاله مع الله وبعد ان عاشر الله سبحانه وتعالى بفكره وعقله ومن ثم بسلوكه واخلاقه ...

خرج من ظلمة الشك الى نور الايمان لأنه اول ما قرأ، (قرأ القرآن)، ووظيفته القرآن:-

- تنظيف الداخل ...
- تعقيم النفس ...

ولذلك يقول الامام امير المؤمنين (ع):-

(ان النفوس لتصدأ !!...
فأجلوها بقراءة القرآن) ...

وهكذا كانت النفس صادقة، كانت النفس متجرثمة، كانت النفس مريضة، كانت النفس بعيدة، كانت النفس وسخة...

ولكن بعد التوجه الى الله سبحانه وتعالى وقراءة كتابه والتأمل بقراءته والتفحص بقراءته والتوقف مع قراءته والتلذذ بقراءته، يقرأ القرآن ويعيش القرآن، يقرآه قراءة متفكر فاحص، يقرأه وهو يعتقد ان الله تعالى يتكلم معه بهذه الآيات...

يقرأ القرآن وهو متفاعل كل التفاعل مع القرآن ومع منزله، يقرأه وهو كأنه يرى كل آية متوجهة اليه، يقرأه فيعيشه كما ويعيش الرسول الذي حمل القرآن ويعيش المرسل الذي انزل القرآن...

فيكون بعد الظلمة نورا، وبعد الريب وضوحا وانجلاءا...

- فمرة أن يكون الريب في العقيدة !!...
- ومرة ان يكون الريب في الضمير !!...

ولما يكون الريب في العقيدة يعني في اسس العلاقة مع الله سبحانه وتعالى،

- اما بعد التوجه الى الله ...
- اما بعد تأكيد العلاقة مع الله...
- اما بعد تأكيد العلاقة مع النبي والقرآن...

فأنه يتضح الطريق مع الله، فأنه تتوضح العقيدة بالله تعالى، فلا ريب... ولا ظلمة...

- وانما عبودية كاملة...
- وانما وحدانية مطلقة ...
- وانما حب وشوق ولوعة وفناء...

فأولا رسخت العقيدة، وبعد ذلك ينجلي الريب عن الضمير الــذي هــو يكون اداة للعمل والفعل، الذي هو يكون بداية للانصيـــاع الســلوكي العملــي الكامل مع الله سبحانه وتعالى...

الضمير الذي:- هو عبارة عن الورع والتقوى...

فأولا:- نزه الجانب العقائدي...

وثانيا:- نزه الضمير ...

- لماذا ؟؟؟...

حتى يكون السلوك والعمل وفقا للسلوك الالهي والخط الرباني...

ولهذا بعد التفاعل مع الله سبحانه وتعالى وبعــد الاســتجابة الكاملــة لله سبحانه وتعالى وخلقه والمراد من خلقه وهو القائل:-

(ما خَلقتُ الجن والانس الا ليعبدون)

ويكمل الامام (ع) بقوله:-

- (وانتَفَت مُخالجةُ الشَكِ عن قُلوبهِم وسَرائرِهِم) ...

فهناك كانت نفس، والنفس فيها الخير وفيها الشر كما يقول تعالى:-

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) ...

فكان جانب الفجور موجود !!... في نفسه في عقله في ســلوكه، كــان الجانب الشيطاني موجود في داخله ...

اما بعد التوجه الى الله سبحانه وتعالى تغيرت الحالة فيقول (ع):-

(وانتَفَت مُخالجةُ الشَكِ عن قُلوبهِم وسرائرهِم)

فكأن القرين الذي هو معهم (الشيطان دائما) يحــاول ان يظلــهم وان يغريهم وان يبعدهم عن الله تعالى...

يبعدهم عن الله طاعة وحبا وسلوكا وشوقا ورهبة كما قال تعالى:-

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها

قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها) ...

اما من زكوا أنفسهم وتوجهوا الى ربهم وبعد ان توجهوا الى ربهم عرفوا ربهم، عرفوه بالتقصير عن ثنائه، عرفوه بعدم المعرفة الكاملة له...

فقد زكوا انفسهم وافلحوا، ولما افلحوا وزكوا انفسهم انتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم...

لأن ذلك لا يكون الا مع وجود الادران في النفس وفي الداخل وفي الروح...

- اما بعد التنقية ...
- اما بعد التزكية...
- فيكون القلب كله لله !!...
- ويكون القلب كله مع الله !!...
- ويكون القلب كله عبودية وحب وطاعة لله !!...

كما يقول تعالى:-

(لا تسعني السموات والارض ويسعني قلب عبدي المؤمن) ...

وعند ذلك تنتفي كل خلجات الشيطان وكل شبهات الشيطان وكل ما يلقيه في قلب الانسان من الشك وما شابهه وما ماثله، وتكون قلوبهم طاهرة لله، اوعية لله...

وتكون سرائرهم متصلة مع الله سبحانه وتعالى، وتكون مشاعرهم مشاعر الهية نقية ... مشاعر عبودية ومعرفة ... مشاعر حب وطاعة... مشاعر وله واشتياق...

ولما تصل مشاعرهم مع الله الى هذه الدرجة يقول (ع):-

• (وانشَرحَتْ بتحقيقِ المعرفَةِ صَدورهَم) ...

- المعرفة هي اثمن ما في الوجود !!...
- المعرفة هي خير ما في الوجود !!...
- المعرفة هي خير من الدنيا وما فيها !!...
- المعرفة هي خير من الجنة وما فيها !!...
- لماذا؟؟؟...

لأن المعرفة تبعا للرضوان، والرضوان نتيجة للمعرفة والله تعالى يقول:-

(ورضوان من الله اكبر) ...

الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه الكريم:-

(الم نشرح لك صدرك؟؟...)

تلك هي العلاقة مع الله ...

تلك هي العبودية لله ...

ذلك هو الحب الكامل لله...

- تلك هو الانصياع الكامل لله سبحانه وتعالى ...
- ذلك الحب الذي يجمع ما بين العبد وربه والمحبوب وحبيبه...

هذا الحب الذي هو شوق ولوعة وطاعة وفناء

- الم نشرح لك صدرك ...
- الم نعطك الطريق الواضح ما بينك وبين ربك؟...

ويقول تعالى:-

(ورفعنا عنك وزرك) ...

حالة الالم التي كنت تعيشها قبل العلاقة المركبة ما بينك وبين الله

(الذي انقض ظهرك) ...

كنت مألوما من هذه الحالة حالة البعد الى درجة كان قد انقض ظـهرك أي اثقل على ظهرك ...

وبعد ان انشرح صدرك مع الله وفتحنا لك الطريق مـا بينـك وبـين الله سبحانه وتعالى واذهبنا عنك ألم البعد

(ورفعنا لك ذكرك) ...

وهكذا يكون الانسان في علاقته مع الله تعالى بدرجات تكاملية حتى يصـل الى اوجها، فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وصل الى اعلى ... اعلى ... اعلـى ... المراتب.

(وكان قاب قوسين او ادنى فأوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى) ...

ولكن الطريق مع الله بمقدار ما فيه من لذة، فيه حسـرة !!... يحتـاج الى ترويض

(فأن مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فأذا فرغت فـأنصب والى ربك فأرغب) ...

ليكن الله كل همك، فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) وصـل الى اعلـى المراتب في علاقته مع الله تعالى وبعده الائمة الطاهرون وبعده الصحابـة الميـامين وبعده العارفون لله سبحانه وتعالى اينما يكونوا فالطريق مفتوح مع الله ومن يلجـه يصل ...

تراهم دائما سعداء وفرحين ومستبشرين، دائما متفائلين واقوياء وشجعان، دائما لينين ومتواضعين، دائما خلوقين...

فهذه المعرفة اثرت في صدورهم واثرت في اخلاقهم وسلوكهم وتخلقوا بأخلاق الله وتخلقوا بأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان خلقه القرآن ...

وتخلقوا بأخلاق الائمة الطاهرين والصحابة الميامين، جعلوا من الله تعالى رباً وحبيبا وسيدا وخالقا ومربيا وجعلوا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة وجعلوا من القرآن منارا وجعلوا من علي امام وهو القائل:-

(ألا وان لكل مأموم أمام يقتدي به، فأعلموا ان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه !!... ومن زاده بقرصيه !!...

وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد)...

- هذا طريق العارفين بالله سبحانه وتعالى...
- هذا طريق السالكين لطريق الله سبحانه وتعالى ...

ولهذا تراهم انشرحت صدورهم ليس بشيء مادي ولكن انشرحت صدورهم بالمعرفة الالهية...

ولكن انشرحت صدورهم بتسلكهم الطريق الرباني...

ولكن انشرحت صدورهم بالحب الالهي والمعرفة الالهية...

ولهذا تراهم بعد هذه العلاقة العابرة ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى، بعد هذه المعرفة المركزة ما بينهم وبين سيدهم وربهم ومولاهم وخالقهم وحبيبهم ...

- بعد هذه العبودية ما بينهم وبين الله ...
- بعد هذا الحب ما بينهم وبين الله ...
- بعد ما وصلوا الى حالة الحب والشوق والولع واللوعة...

عند ذلك صار الله تعالى كل همهم فهو لا يرى الا الله ولا يفكر الا بـــالله، اخذ الله كل قلبه وكل ضميره وعقله واحاسيســــه ومشــاعره، اخــذ الله كــل كيانه!!...

وهو بهذه الدرجة يشعر بأسمى مراتب السعادة ولهذا تكون النتيجة همته مـع الله عالية وهمته ما دون الله زهد فيقول الامام (ع):-

• (وَعَلَتْ لِسَبقِ السعادةِ في الزَّهادَةِ هِممهُم) ...

فهم بعد هذه المعرفة ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى صار الله كل همـــهم ترى همته مع سيده ومولاه همته مع من يحب، همته مع حبيبه، همــة عاليــة، همــة كبيرة...

تفاعله مع حبيبه تفاعل لا يوصف، فقد ملك روحه وعقله وضميره وكـــل احاسيسه، لأنه ليس في قلبه سوى المحبوب الوحيد وهو الله سبحانه وتعالى...
فزهد بكل شيء دونه والزهد تفسره الآية القرآنية بقوله تعالى:-

(ألا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم)

إلا بمقدار ما يربطنا مع الله تعالى (توضيحا للاية) فعند ذلك ان فرحنـــا نفرح لأن هذا الامر يؤكد العلاقة بيننا وبين الله، ما بيننا وبين من نحب ما بيننا وبين المحبوب...

فعند ذلك تكون منه واليه ولأجله، وهكذا ترى هؤلاء العارفين بالله تعـالى، هممهم عالية مع الله وهممهم زاهدة بكل شيء سوى الله ...

- كل ذلك لتمام المعرفة ما بينهم وبين الله ...
- كل ذلك لتمام الحب ما بينهم وبين الله ...
- كل ذلك لتمام الصفاء ما بينهم وبين الله ...
- كل ذلك لتمام اتصال قلوبهم ومشاعرهم مع الله تعالى وحده...

- كل ذلك لأنهم عرفوا الله ووالوه فكان الله وليهم...

(والله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) ...

وبعد ان انشرحت صدورهم بالمعرفة الالهية وبعد ان انتفت كل مصادر الشك والشبهة والوهم من نفوسهم لأنها تعلقت مع الله سبحانه وتعالى، تعلق معرفة وتعلق تفكر وتعلق وضوح...

فلا مجال للشك ولا مجال للشبهة ولا للريب ولا للوهم في نفوسهم ولا في قلوبهم ولا في صدورهم ولا في عقولهم ولا في سرائرهم ولا في كل جوانب تفكيرهم...

فهم في وضوح كامل ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى وفي معرفة تامة ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى محققين العبودية، محققين الطاعة، محققين الحب والشوق والمعرفة بالله تعالى !!...

فهو ربهم ... وهو حبيبهم ... وهو سيدهم ... وهو مولاهم ... وهو من عرفوه...

هو الاول والاخر والظاهر والباطن، ولهذا انشرحت صدورهم لله سبحانه وتعالى وانشرحت صدورهم بتمام المعرفة له سبحانه وتعالى...

وهذا الانشراح كلما يتأكد في القلب تأتي المعرفة اكثر فأكثر يأتي التفاعل معه تعالى اعمق واعمق ويزداد الحب وتزداد المعرفة ويزداد التفاعل ما بين العبد وبين ربه وما بين الحبيب وبين محبوبه ...

فهم لا يرون الا الله سبحانه وتعالى ولهذا كان الله كل همهم فلا ينظرون سوى الله ولا يتفكرون بغير الله ولا يلتفتون لغير الله سبحانه وتعالى...

فالله هو كل همهم، انصبت هممهم بالله وانصبت هممهم لله وانصبت هممهم في الله، فتروهم مسارعين الى الله سبحانه وتعالى بكل همة وكل عزيمة...

ولهين لله، فرحين مع الله، مشتاقين الى الله سبحانه وتعالى ولهذا تراهم لا تنضب العلاقة ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى...

الامدادات متصلة ما بينهم وبين الله سبحانه وتعالى وكلما تكون هذه الامدادات متصلة تكون:-

امتن... فأمتن... فأمتن...

وزهدوا بكل شيء سوى الله سبحانه وتعالى، زهدوا بالدنيا وما فيها، زهدوا بالدنيا بما هي دنيا ولكنها بما هي موصلة للاخرة، وبما هي موصلة الى رضوان الله تعالى، وبما هي موصلة لخدمة الحبيب والمحبوب، فتكون هي مزرعة الاخرة !!...

وتكون هي متجر اولياء الله سبحانه وتعالى !!...

كما يقول عنها امير المؤمنين سلام الله عليه، بهذه الصورة عرفوا الله سبحانه وتعالى...

وبهذه الصورة احبوا الله سبحانه وتعالى وعشقوه وتولعوا به وتفانوا فيه...

حتى نصل كما يقول الامام زين العابدين وسيد الساجدين عليه افضل الصلاة والسلام:-

- (وَعذُبَ في مَعينِ المعامَلةِ شِربهُم) ...

في هذا المقطع نلتفت الى عدة أمور:-

الامر الاول:- ان العلاقة مع الله سبحانه وتعالى هذه العلاقة التي تبنى على العبودية والايمان والطاعة والمعرفة، هي كأنها معاملة ما بين العبد وبين سيده كأنها معاملة ما بين المحبوب وبين محبوبه.

- فكلما تقدم انت لمحبوبك اكثر ترى منه الرضا اكثر فأكثر !!...
- كلما انت تخدم محبوبك اكثر فأكثر تشعر بالقرب منه اكثر فأكثر ...
- فلا يمكن ان يكون الحب وان تكون المعرفة من جهة واحدة ...

- ولا يمكن ان تكون المعرفة وان يكون الحب فكريا ونظريا ولا يكـــون عمليا ولا سلوكيا، وانما لا بد ان يجمع بين الاثنين...

ولهذا العلاقة ما بين العبد وبين ربه، ما بين الحبيب وبين محبوبه هي نوع مـن المعاملة !!...

وهذه المعاملة لا يمكن ان يكون ما هو الذ منها ولا ما هو اطيب منـــها ولا ما هو اروع منها ولا ما هو اسمى منها ...

فهي معين لا ينضب !!... فهي معين لا ينتهي !!... فهي لا نهايه له !!...

(والمعين: هو من اسماء عيون الماء اللذيذة الصافية الممتعة...)

ومن المؤكد ان العلاقة مع الله تعالى اذا كانت علاقة عبودية وعلاقة طاعـــة وعلاقة معرفة وحب، لا يمكن ان توصف بشيء، الا انه هذه الكلمات وهذه المعاني معاني تقريبية لتلك العلاقة المقدسة التي تكون ما بين العبد وبين ربه، ما بين الانسان وبين خالقه ما بين الحبيب ومحبوبه...

فيريد ان يقرب هذه العلاقة فيقول انها هي كالمعين، وكيف ان هذه العـــين الصافية لا تنتهي ولا يمكن ان تنفذ وتبقى تعطي من الماء الصافي العذب الفـرات الى ما لا نهاية !!...

كذلك العلاقة مع الله سبحانه وتعالى عندما تكون بهـــذا المســـتوى مـــن العبودية والايمان والاخلاص والمعرفة والمحبة والشوق والولع...

تكون هذه العلاقة غير منتهية، علاقة دائمة، علاقة مســـتمرة، علاقـــة اذا فرضنا لها بداية فلا يكون لها نهاية !!...

فهو أي العبد يعيش في عذوبة هذا المعين المستمر وهو –(العبوديـــة لله تعالى)– وهو –(الحب لله سبحانه وتعالى)– وهو (المعرفة بالله تعالى) وهـو

-(التفاعل والانصياع) لله سبحانه وتعالى و (الاستجابة) لله سبحانه وتعالى بكل صغيرة وكبيرة...

فهو يشرب من هذا المعين، والذي نلتفت اليه من هذه الجملة المباركة من مناجاة الامام زين العابدين سلام الله عليه:-

ان العارف بالله سبحانه وتعالى يكون دائما في حالة ضمأ وفي حالة عطش وفي حالة وله...

ولهذا دائما يريد المزيد... والمزيد ... والمزيد... من محبوبه

- يريد المزيد من المعرفة !!...
- يريد المزيد من القرب !!...
- يريد المزيد من الوله !!...
- يريد المزيد من الشوق !!...
- يريد المزيد من الالتفات من محبوبه والتفضل من محبوبه والالطاف من محبوبه والامدادات من محبوبه !!...

ولهذا هو دائما عطشان فهو يريد الشرب وخصوصا اذا رأى ان الماء الذي يشرب منه هو اروع معين، واعذب معين، واطهر معين...

- فلا يمكن ان تنتهي رغبته من هذا الماء !!...
- ولا يمكن ان ينتهي شوقه الى هذا الماء !!...

ويبقى محتاجا ولها عطشانا لهذا المعين !!...

فهو متعامل مع الله سبحانه وتعالى في كل وقته، في كل آن من آناته، في كل ساعة من ساعاته، في كل يومه، في كل شهره، في كل سنته، في كل عمره، هو

- في حالة تعامل مع الله سبحانه وتعالى...
- في حالة اتصال مع الله سبحانه وتعالى...
- في حالة كامل بالقرب من الله سبحانه وتعالى...

فهو دائما قريب !!... ولكن نحن الذين نبتعد عنه، هذا الشعور يصل الى درجة ما بين العبد وبين ربه، يكون مجلسهم واحدا ولهذا يقول (ع) في الفقرة التالية من المناجاة:-

• (وَطابَ في مَجلسِ الاُنسِ سِرهُم) ...

تصل العلاقة ما بين العبد وبين ربه، ما بين المحبوب وبين حبيبه الى درجة كون مجلسهم مجلسا واحدا

اذن هذا ما يؤكده الحديث القدسي الذي يقول:-

(انا جليس من ذكرني) ...

فأذا كان الذي يذكر الله سبحانه وتعالى، يكون الله جليسه، فكيف الذي هو يذكر الله ويحب الله ويشعر بالعبودية الدائمة لله ويشعر بالانقطاع لله ويشعر بالمعرفة ما بينه وبين الله ويشعر بالولع في هذا الحب والفناء مع الله تعالى !!...

اذا كان الذي يذكر الله تعالى يكون جليسه يذكره بلسانه وقلبه وتلك هي من صفات المؤمنين كما يقول تعالى:-

(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والارض) ...

وفي آية اخرى:-

(الذين أذا ذكروا الله وجلت قلوبهم) ...

هنا ذكر مع حب، هنا ذكر مع معرفة، فهو عندما يذكر الله تعالى يتفاعل مع هذا الذكر، وعندما يتفاعل مع هذا الذكر، لأنه عبده وعرفه واحبه ويشتاق اليه وفي قلبه لوعة اليه ...

فهو يكون وجلا، يكون خجلا، يكون مضطربا، يكون مستحيا، يكون ناسيا لنفسه مع ذكره لربه، ولهذا يكون فناء...

اذا كان الذاكر لله تعالى يكون الله جليسه، فكيف اذا كان ذكرا مع طاعة مع حب...

فكيف اذا كان ذكرا مع شوق...

فكيف اذا كان ذكرا مع معرفة ومن ثم وله ومن ثم لوعة ...

فكيف اذا كان ذكرا بعد ما انكشف له الغطاء ...

لا بد ان تكون النتيجة هو ان يكون المجلس مجلسا واحدا، وكيف لا يكون المجلس واحدا ولله تعالى هو دائما اقرب الينا من حبل الوريد !!...

فأذا كان هو كذلك فنحن دائما في مجلس واحد !!...

- ولكننا نحن الذي ابتعدنا عنه ...
- ولكننا نحن الذي حجبتنا الحجب ما بيننا وبينه ...
- ولكننا نحن الذي ابعدتنا الذنوب ما بيننا وبينه ...
- ولكننا نحن الذي جعلنا من المعاصي حاجزا منيعا ما بيننا وبينه...

اما اذا ارتفعت هذه الامور وشعرنا بالعبودية وتمثلنا العبودية وعشناها وهي من ضرورياتها الايمان... والمعرفة... والحب...والطاعة ...

عند ذلك نشعر بالقرب ... والقرب... والقرب... اكثر فأكثر، حتى نكون في مجلس واحد...

وهذا المجلس من سماته الانس !!...

من سماته السعادة !!...

من سماته الاطمئنان !!...

من سماته اللذة التي ما بعدها لذة !!...

من سماته الشعور بالوصل مع الحبيب !!...

وتلك هي غاية ما يتمناه المحب، ولهذا يكون في مجلس واحد، وتكون الصفة الرئيسية لهذا المجلس هي حالة الانس والسرور والراحة والاطمئنان...

اذا كان مجرد ذكر الله تعالى يوجب الاطمئنان، كما في قوله:-

(الا بذكر الله تطمئن القلوب) ...

فكيف اذا ذكر مع عبودية، مع طاعة مع معرفة، مع حب، وله وشوق، هنا تكون حالة الجلسة مع الله تعالى، هنا تكون حالة الانس والسعادة واللذة مع الله تعالى...

كيف لا يكون في مجلس واحد وهو اقرب اليه من حبل الوريد وهو اخذ بكل قلبه وكل روحه وكل مشاعره وكل احاسيسه، اليس هو القائل في الحديث القدسي:-

(لم تسعني السموات والارض ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن) ...

فأذا كان هو في قلب عبده المؤمن، افلا يكونوا في مجلس واحد، وفي جلسة واحدة، وهو يشعر بتمام الانس والسعادة والاطمئنان بهذه الجلسة...

تلك هي من سمات العلاقة ما بين الحبيب ومحبوبه وتلك هي من سمات العلاقة ما بين العبد وبين ربه، ان كانت علاقة عبودية وايمان وطاعة وحب ومعرفة...

فهناك علاقة وثيقة تكون علاقة لا يعرفها احدا سوى حبيب والمحبوب!!...

فهناك سر ما بينه وبين محبوبه، وهناك ما لا يعلمه احد سوى الحبيب والمحبوب، هناك اسرار ما بينهما لا يرضون ان يعلم بها احد سواهما...

هناك علاقة وعلقة لا يمكن ان يفهمها احد سواهما، سوى هذه العلاقة بين الحبيب والمحبوب، ولهذا فهم في انس وهم في راحة وهم في قرب والسر ما بينهما، ويقول بعد ذلك الامام (ع):-

• (وامِنَ في مَواطنِ المخافَةِ سِرِهُم) ...

هنا بعد هذه العلاقة المفصلة ما بين العبد وبين ربه، ما بين الانسان وبين خالقه، ما بين الحبيب وبين محبوبه...

١- يأمن من نزغات الشيطان...

٢- يأمن الشك والشبهة والريب الذي يلقيه الشيطان في روعه، لأنه عند ذلك كما في الآية:-

(ليس لك عليهم سلطان) ...

لأنهم عند ذلك هم يكونون بولاية الله سبحانه وتعالى وهو الذي يعجز عن التأثير فيهم كما في الاية:-

(لأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) ...

فهو يكون في مأمن من كل خوف ومن كل شك وشبهة ووهم...

لأنه تعلق مع الله تعالى، ولأنه استجار بالله سبحانه وتعالى، لأنه عاش الله عبودية وايمانا وحبا ومعرفة وطاعة...

لأنه عاش الله تعالى بكل روحه وقلبه وعقله وسلوكه، فهو أمن من الشيطان وما يلقيه في روع الانسان...

هذا نوع من الامن، والامن الثاني:- هو الانسان في علاقة معه سبحانه وتعالى دائما يبقى بين الخوف والرجاء، يبقى ما بين ان يكون خائفا من اعماله وذنوبه وخائفا من تقصيره مع ربه ومحبوبه...

وبين ان يرجو الله سبحانه وتعالى رحمته ونعمته والطافه وتفضله، في هذه العلاقة مع الله تعالى وفي طول هذه العلاقة مع الله تعالى...

هنا شعر هذا العبد المحب لربه بعد العبودية والايمان شعر بالحب والمعرفة والقرب ما بينه وبين ربه وتلذذ بشرب المعين الالهي لهذا القرب وتلذذ بالجلوس مع محبوبه والانس معه...

فهنا يشعر باللطف الالهي وبالرحمة الالهية اكثر فأكثر ولهذا يطمئن قلبه وتسعد روحه ولكنه مع هذا هو يشعر بالتقصير اكثر فأكثر، لأنه وصل الى درجة من المعرفة اعلى فأعلى، والانسان كلما يصل الى درجة اعلى في المعرفة يشعر بالتقصير اكثر فأكثر...

ولكنه مع شعوره بالتقصير، يشعر بالراحة والاطمئنان والانس واللذة لأنه قد شرب من المعين ولأنه قد حضر تلك الجلسة المقدسة !!...

فهم في حالة الاطمئنان والسعادة والراحة في علاقتهم مع ربهم، هذا كله في جانب وهو في الحياة الدنيا !!...

والجانب الاخر هو كذلك في الحياة الاخرة ومن الواضح والمؤكد ان يوم الاخرة يوم مخيف، يوم متعب، يوم مروع ولهذا يقول تعالى:-

(يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)...

وفي سورة اخرى:-

(واذا الصحف نشرت واذا الجبال سيرت

واذا السماء كشطت) ...

في يوم تختلف فيه الموازين، تنقلب فيه الموازين اذ يقول تعالى:-

(اذا زلزت الارض زلزالها واخرجت الارض اثقالها وقال: الانسان ما لها؟؟...

يومئذ تحدث اخبارها بأن ربك اوحى لها يوم يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ...

ذلك اليوم الرهيب، ذلك اليوم المخيف لا يغني والد عن والده ولا مولود عن مولده، الاخلاء يومئذ لا يتعارفون كأنهم اعداء لا يعرف بعضهم بعضا !!...

(وقفوهم فأنهم مسؤولون) ...

يوم تتكلم فيه الاعضاء والجوارح، ينشر فيه الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها، في ذلك اليوم الرهيب في الاخرة تظهر فائدة من اكد علاقته مع الله تعالى في الدنيا...

تظهر فائدة العلاقة ونتيجتها مع الله تعالى، تظهر اهمية العبودية مع الله تعالى والطاعة لله والحب لله والمعرفة بالله سبحانه وتعالى والتفاعل مع الله والعيش مع الله تعالى فكرا وسلوكا ...

في ذلك اليوم من بدايته انتقال الانسان من عالم الدنيا الى الاخرة، من عالم الشهادة الى عالم الغيب فهو في بداية نزوله الى قبره !!...

- اما يكون كالعبد الآبق الى مولاه قسرا مع القسوة ومع الغلظة !!...
- واما كالغريب يعود الى وطنه مستبشرا وفرحا !!...

فهي اما ان تكون اول ليلة له في قبره، اسعد ليلة له واما ان تكون اصعب ليلة عليه !!...

وبعد ذلك يكون قبره اما روضة من رياض الجنة !!... او يكون حفرة من حفر النار !!...

وبعد ذلك اما ان يؤتى كتابه بيمينه او ان يؤتى كتابه بشماله...

ما زلنا مع الأمام زين العابدين علي بن الحسين -(عليه السلام)- في مناجاته مع ربه -(مناجاة العارفين)- ووصلنا الى قوله تعالى:-

(وأمِنَ في مَوطِنِ المخَافةِ سِربهُم.) ...

وتحدثنا عن نوع الأمن الذي يحصل عند العبد ما بينه وبين ربه !!... وبين محبوبه في الحياة الدنيا نتيجة لتلك العلاقة المقدسة مع ربه، وسيده وخالقه، ومحبوبه!!...

وتكلمنا بشيء عن الأمن الذي يحصل للأنسان في انتقاله الى دار الآخرة!!...

وكيف أنه من بداية الرحلة الأخروية، وانتهاء الرحلة الدنيوية يشعر بالأمن مع الله -(سبحانه وتعالى)-!!...

ويشعر بالسعادة مع الله -(سبحانه وتعالى)!!...

وكما يقول الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) -(تقريبا للموت بالنسبة للأنسان المؤمن)-:

(إنه يتزع ثوب وسخ - (أو يسلخ ثوب وسخ)-!!...

ويلبس ثوب جديد، نظيف !!...)

فهو بهذه النقلة ينتهي من درن الدنيا !!... وأوساخ الدنيا !!... وما في الدنيا من ألم !!... ومحن !!... ومتاعب !!... وجراثيم، وامراض !!...

ويذهب الى:

الطهارة الألهية !!...

والطهارة الربانية !!...

والحضرة المقدسة !!...

يذهب من الدنيا وما فيها مـــن شـــيطان يغريـــه !!... ويتوجـــه الى رب يهديه!!...

وعند ذلك يشعر بالقرب المركز اكثر فأكثر !!...

ففي الحياة الدنيا إن كانت هناك مشاغل، فـــهنا لا توجـــد مشـــاغل إلا الله!!...

فأن كانت هناك اشياء في الحياة الدنيا، فهنا لا يوجد شيء غير الله !!...

وكما تقول الآية الكريمة:-

(ولسوف يعطيك ربك فترضى !!...

ألم يجدك يتيما فآوى !!...

ووجدك عائلا فأغنى !!...

ووجدك ضالا فهدى !!...)

وتعني:

(ضالا فهدى ...)

يعني وجدك متعطشا !!...

يعني تشعر بالتيه !!... وتشعر بالحاجة والوله للمعين الصافي !!... وهـــو الله -(سبحانه وتعالى)-

وهكذا الأنسان المحب الى الله -(سبحانه وتعالى)- العـــارف بـــالله !!... المقتدي بالنبي، والائمة الطاهرين !!... والصحابة الصالحين !!...

وبهذا تكون انتقالته انتقالة قرب مركز مع الله -(سبحانه وتعالى)- !!...

انتقالة سعادة، واطمئنان، وأمن في مكان من شأنه الخوف !!...

وهكذا كما قلنا يكون قبره:

أما روضة من رياض الجنة !!...

أو حفرة من حفر النار !!...

نتيجة لعلاقته مع الله –(سبحانه وتعالى)– أما أن تكـون سـلبية فتكـون النهاية كما قلنا: حفرة من حفر النار !!... أو تكون إيجابية فتكون النهاية: روضـة من رياض الجنة !!...

إن كان قد عبد الله –(سبحانه وتعالى)– !!... وأحبه !!... وعرفـه !!... وتعلق به !!...

فتكون نهايته (في القبر):

روضة من رياض الجنة !!... يفتح ما بينها وبين الجنة (بـاب ضيـاء) فتكون روضة من رياض الجنة !!...

وان كان بعيدا عن الله (سبحانه وتعالى)– في حياته ... في دنياه ...

بعيدا عن عبوديته !!...

بعيدا عن طاعته !!...

بعيدا عن محبته !!...

بعيدا عن معرفته !!...

فستكون نهايته (في القبر) حفرة من حفر النار !!... هذه النار التي لـو وقعت منها قطرة على الدنيا لأحرقتها بما فيها !!...

وهكذا يسير الى يوم الموقف !!... ذلك اليوم الرهيب !!... اليوم المخيف !!... اليوم الذي يجتمع فيه الناس ويقولون:

(ارجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت !!...

كلا إنها كلمة هو قائلها !!...)

يكون موقفه موقف الأمن، والأمان، والأطمئنان !!... لأنه احب الله !!... لأنه عبد الله !!... واطاعه !!... لأنه أحب الله !!... وعرفه !!... فيكون:

مطمئنا في ذلك اليوم !!...

ثم يأتي الى الصراط فيكون بالنسبة اليه كمد البصر !!... أما بالنسبة للبعيد عن الله فيكون أرفع وأدق من الشعرة !!...وعندما يجتاز الصراط !!...

فترى اللطف الالهي المتجسد بأمير المؤمنين علي -(عليه السلام)- واقفا على باب الجنة !!...

واذا دخل الجنة !!...

فيرى اللطف الالهي المتجسد بعلي -(عليه السلام)- على الحوض !!...

وهكذا يعيش حالة الأمن، والأطمئنان في علاقته مع الله -(سبحانه وتعالى) دنيا!!... وآخرة !!...

وهكذا فأنه يشعر بالأمل مع الله -(سبحانه وتعالى)!!...

ويشعر بالأمن وهو في كنف الله -(سبحانه وتعالى)-

ويشعر بتمام الأطمئنان وهو عبد الله -(سبحانه وتعالى) !!... محب له!!... عارف به !!...

يشعر بتمام الأطمئنان والأمن، والراحة لأنه هو مع الله -(سبحانه وتعالى)- سواء أكان في الحياة الدنيا، أم في الأخرة !!...

ملأ قلبه عبودية لله !!... ومعرفة به !!... وطاعة له !!...

ملأ قلبه حبا لله !!... فصار ظرفا لله -(سبحانه وتعالى)-

وصار وعاء لله -(سبحانه وتعالى)- !!... واستجابت الجوارح لهذا الحب، وهذه المعرفة !!...

فترى كل اعضائه، وجوارحه محبة لله -(سبحانه وتعالى)-!!... مستجيبة اليه !!... منصاعة له !!...

فهي تتفاعل مع الله -(سبحانه وتعالى)- لأنها تشعر بالأنتماء الكامل اليه!!...

لأنها تشعر بالحاجة المطلقة اليه !!...

لأنها تشعر أنها منه !!... فلا بد أن تكون اليه !!...

ولهذا يشعر العارف بالأطمئنان، والسعادة، والراحة !!...

وهو مع الله -(سبحانه وتعالى)- سواء كان في الحياة أو في الآخرة !!...

في الحياة الدنيا يكون مع الله !!... ومن كان مع الله فيكون الله معه !!...

وتلك هي منتهى السعادة التي يروم اليها العارفون !!... أن يكونوا معه!!... ويكون معهم !!... وذلك هو منتهى القرب الذي يروم اليه المحبون!!...

أن يكونوا قريبين منه !!... ويكون هو قريب منهم !!...

أي بمعنى أنهم يستشعرون قربه اليهم !!...

فهم بمنتهى السعادة، والاطمئنان من هذه المعرفة، وهذا القرب، وقرب ما يقرب اليه سبحانه وتعالى !!...

فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو مما يقرب الى الله !!...

والقرآن الذي هو كتاب الله المنزل هو مما يقرب الى الله !!...

ومحمد وآل محمد هم الأدلاء على الله !!... وكذا الصحابة والصالحون فهم يشعرون بالقرب من الله !!... بعد المعرفة ... والتفاعل مع كل خطوطه الموصلة اليه !!... والتفاعل الكامل مع الوسائل التي تربطنا به !!... وتربط العارفين:

بحبيبهم !!... وربهم !!... وسيدهم !!... ومولاهم !!...

فهم يعيشون الله -(سبحانه وتعالى)- عيشة عبودية !!... وعيشة حب!!... وعيشة معرفة !!... وعيشة طاعة، وخشوع، وخضوع، وتذلل !!...

هذا في الحياة الدنيا ...

وفي الآخرة :

فهم لهم الأمن من كل ما يخيف !!... لأنهم بظل الله !!... لأنهم بكنف الله !!... لأنهم عرفوا الله: فأطاعوه !!... واحبوه ... وامتثلوا أوامره !!... فهم بظله، وكنفه يوم لا ظل الا ظله !!... ولا كنف إلا كنفه !!... والأمر كله بيد الله !!...

وهذه الأرواح التي عرفت الله -(سبحانه وتعالى)- وآمنت به، واحبته، واطاعته تكون كالطيور وهي في حالة الأجتماع، وهي في حالة سرب من الحمام والطيور يرفرف على ماء عذب، غدير، صافي !!...

هكذا نريد أن نقرب الجملة المقدسة للأمام -(عليه السلام)-:

(وأمِنَ في مَوطِنِ المخافَةِ سِربهُم)!!...

فكما أن للطيور أسرابا تتطير من مكان الى مكان، فاذا رأت الماء العذب، الصافي أمنت، وارتاحت، وشربت، والتذت، وسعدت !!... فكذلك هؤلاء العارفون لله -(سبحانه وتعالى)- عندما وصلوا الى المعرفة بالله !!... أمنت ارواحهم !!... واطمأنت نفوسهم !!... واستقرت اجزاؤهم، واعضاؤهم لأنهم وصلوا الى ما كانوا يبغون !!...

لأنهم وصلوا الى ما كانوا يأملون !!...

سواء كان في الحياة الدنيا !!... او كان في الآخرة

لأن في الحياة الدنيا:

تكون المعرفة هي غاية الغايات !!... لأنها تمثل القرب !!... والقرب يمثل الأطمئنان، والأمن !!...

وأما في الآخرة:

فهي تعبر عن الرضوان الالهي !!... والرضا الالهي هو اكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء !!... كما تعبر عنه الآية الكريمة:

(ورضوان من الله اكبر)!!...

فهو اكبر من الجنة، وكل نعيمها !!...

وهكذا يسير العارفون مع الله -(سبحانه وتعالى)- فيصلون به ... ومعه... واليه بتمام الأمن، والأطمئنان، والسعادة، والراحة، والصفاء !!...

وبعد ذلك يقول الأمام -(عليه السلام)-:

(واطمأنَت بالرجُوعِ الى رَبِّ الأربابِ أنفسهُم)!!...

فهنا الرجوع ... رجوعان !!...

رجوع في الدنيا !!...

ورجوع في الآخرة !!...

أما الرجوع في الدنيا: فالنفس البعيدة عن الله -(سبحانه وتعالى)- التي كانت قد ابتعدت، وضلت، وانحرفت !!...

النفس التي كانت غير ملتفتة الى عبوديتها لله -(سبحانه وتعالى !!... والى إيمانها !!... والى معرفتها بربها !!...

هذه النفس التي كانت بعيدة عن كل هذه المفاهيم التي تؤكد علاقتها مع ربها من العبودية والأيمان، والحب، والمعرفة بالله -(سبحانه وتعالى)- فكانت نفساً متحيرة !!...

ونفسا ضالة !!...

ونفسا لا تدري هي من أين؟!!... والى أين؟!!... ولماذا وجدت؟!!...

فهي نفس قلقة !!... متحيرة !!... جزعة !!...

لأنها بعيدة عن الله –(سبحانه وتعالى)– !!...

أما بعد أن التفت الأنسان الى نفسه، وأكد علاقته مع ربه، وأكد عبوديته لله، وما لهذه الكلمة من معنى !!...

والتفت الى إيمانه بالله !!...

والتفت الى فطرته التي تربطه مع الله !!...

والتفت الى ما أخذ عليه من ميثاق بينه وبين الله !!... وآمن بالله !!... وعرف الله !!... وأحبه !!... وأطاعه !!... واستجاب الى ربه !!...

عند ذلك تحقق الرجوع الأول !!...

عند ذلك تحقق الرجوع الدنيوي !!...

عند ذلك تحقق الرجوع الى الله !!...

عند ذلك تحقق الرجوع الى رب الأرباب !!...

فكان بعيدا ورجع الى الله !!...

فكان ضالا وأهتدى الى الله !!...

وكان مسيئا وتاب الى الله !!...

وكان عاصيا وأستغفر الله !!...

وهكذا نرى أنه رجع الى الله وهو في الحياة الدنيا !!...

كان غافلا عن الله !!...

كان معرضا عن الله !!... وكما يقول الله:

(ومن أعرض عن ذكري... فإن له معيشة ضنكا !!...

ونحشره يوم القيامة أعمى !!...

قال: ربي لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا؟!!...

قال: كذلك أتتك آياتي فنسيتها فكذلك اليوم تنسى)!!...

فكان كله قلق !!... وألم !!... وحسرة !!...

أما عندما رجع الى الله !!... والتفت الى عبوديته، وإيمانه !!... وأحب الله، وعرفه، واطاعه !!...

عند ذلك أطمأنت نفسه !!...

لأنه بذكر الله تطمئن النفوس !!...

ولهذا يقول الأمام -(عليه السلام)-:

(واطمأنَت بالرجوعِ الى رَبّ الأربابِ أنفسهُم)!!...

فهناك كان يعيش القلق، والحيرة، والضلال، واللاوجود !!...

وهنا عاش الأطمئنان، والسعادة، والخير !!...وشعر بوجوده !!... وشعر بكيانه !!... وشعر بعبوديته !!...

والتفت الى إيمانه، والتفت الى معرفته بالله -(سبحانه وتعالى)-!!...

وبذلك تحقق رجوعه الى الله !!...

وبذلك اطمأنت نفسه بهذا الرجوع الى رب الأرباب !!...

والرجوع الثاني: هو رجوع الكل الى الله !!... فكان الرجوع الأول: هو رجوع النفس، والعقل، والضمير !!...

هو رجوع الأحساس، والمشاعر، والجوارح سلوكا، وعملا، وتطبيقا، وحبا، ومعرفة، وخوفا، وطاعة !!...

وأما الرجوع الثاني فـــهو الرجـــوع الكـــامل !!... الرجـــوع البـــدني والروحي!!... الرجوع النفسي ورجوع الأجزاء بكل ما فيها، ومـــا لهـــا، ومـــا عليها!!...

فبعد تلك الرحلة مع الله -(سبحانه وتعالى)- في الحياة الدنيا التي ملؤهـــا الايمان، والعبودية، والمعرفة، والطاعة، والخضوع، والخشوع !!...

فبعد أنتهاء تلك الدنيوية، وابتداء الرحلة الأخروية، وانتقال العبد من عـــالم الشهادة الى عالم الغيب !!...

هناك يكون أحد أثنين:-

أما أن يكون :

(يأأيتها النفس المطمئنة:

ارجعي الى ربك راضية مرضية

وادخلي في عبادي !!...

وادخلي جنتي)!!...

وأما أن تكون:

هذه النفس بعيدة عن الله -(سبحانه وتعالى)- في الحياة الدنيا !!...

وتذهب الى الآخرة فتشعر بالألم والندامة، والحسرة !!...

عند ذلك تقول:-

(ربي أرجعونِ لعلي أعمل صالحا

فيما تركت !!...

كلا إنها كلمة هو قائلها، ومن ورائهم

برزخ)!!...

فالدنيا عمل ولا حساب !!...

والأخرة دار حساب ولا عمل !!...

انتهت الفرصة !!... وصدر الحكم !!... وانتهى الأمر !!...

فأما الى الجنة !!...

وأما الى النار !!...

أما الذين اطمأنت قلوبهم في الحياة الدنيا !!... واكدوا علاقتهم بـــالله –(سبحانه وتعالى)–

عبودية، ومعرفة، وحبا، وطاعة !!...

فاؤلئك الذين تعنيهم الآية:

(ياأيتها النفس المطمئنة ...

ارجعي الى ربك راضية مرضية !!...

فادخلي عبادي !!...

وادخلي جنتي !!...)

هذه النفس التي أطمأنت بالله !!...

هذه النفس التي كان الله كل همها !!...

هذه النفس هي النفس المطمئنة !!...

يخاطبها رب العزة والجلال:

مرحبا بها !!...

سعيدا بلقائها !!...

فرحا، مستبشرا بقدومها !!...

رجعت الى الحياة الواقعية !!... لأن الآخرة هي دار الحيـــوان !!... لأن (الآخرة) هي الحياة !!... اما الدنيا فسميت بالحياة مجازا !!...

(ياأيتها النفس المطمئنة !!...)

يعني هذه النفس التي اطمأنت بـــالله !!... وعرفــت أنهـــا مـــن الله والى الله!!...

(ارجعي الى ربك !!...)

إنها دعوة إلهية لهذه النفس بالرجوع الى بارئها ... وخالقـــها ... وســـيدها ... ومولاها ... ومحبوبها ...

(ارجعي الى ربك !!...

راضية مرضية !!...)

فهي راضية بهذاالرجوع !!... لأن هـــذا الرجـــوع يمثـــل لهـــا منتـــهى القرب!!...

وكل ما تطلبه هو القرب !!...

وكل ما تريده هو القرب !!...

ولهذا هي راضية بهذا الأنتقال !!...

لأنه يمثل لها القرب الاكثر فالاكثر !!...

ولو أنها تركت ما تركت خلفها من أهل أحباء، وأعزاء

ولو أنها تركت ما تركت من أمور كانت قد تعلقت بها في الحياة الدنيا ...

إلا انها ترى القرب الالهي أعظم في كل شيء !!...

إلا أنها ترى القرب الألهي أجمل من كل شيء !!...

فهو أعظم من الدنيا وما فيها !!...

وهو أعظم من الآخرة وما فيها !!...

لأنه يمثل الرضا !!...

فهي راضية بهذا !!... بل وسعيدة بهذا !!...

وبالتالي تكون النتيجة الطبيعية لهذا الرضا (كونها راضية) بالدعوة الالهية فتكون:

مرضية عند ربها !!...

يكللها الرضوان الالهي !!...

يحدوها الرضا الالهي !!...

يحفها الرضا الالهي !!...

(فادخلي في عبادي !!... وادخلي جنتي !!...)

وهنا لا بد من وقفة عند قوله سبحانه وتعالى :

(فادخلي في عبادي !!...)

كأن العبودية لا تكون عبودية كاملة إلا بهذه الأوصاف !!...

لا تكون عبودية كما يريدها الله -(سبحانه وتعالى)- إلا بهذا المعنى !!...

إلا بمعنى أنها استجابت الى الله -(سبحانه وتعالى)- عبودية ... وإيمانا ... وحبا... وطاعة ... وولها... وعشقا... وفناء في الحياة الدنيا !!...

واستجابت لربها، وجعلت لقاؤه خيرا من الدنيا وما فيها !!...

فهي ذهبت راضية !!... وهي مرضية !!...

عند ذلك تدخل في مرحلة العبودية الألهية !!... ولهذا يقول (سبحانه وتعالى) بعد كل هذه المسيرة:

(وادخلي في عبادي !!...

وادخلي جنتي !!...)

تلك الجنة التي أعدها الله -(سبحانه وتعالى)- لمحبيه !!... وعارفيه !!...
تلك الجنة التي فيها ما لا عين رأت !!... ولا أذن سمعت !!... ولا خطـــر علـــى قلب بشر قط !!...

والذي اكبر من هذا:

(ورضوان من الله أكبر !!...)

(واطمأنَت بالرجُوعِ الى رَبّ الأربابِ أنفسهُم)

وبعد هذا الأطمئنان يقول -(عليه السلام)- في الفقرة التي بعدها:

• (وتَيقَّنت بالفوزِ والفلاحِ أرواحهُم)!!...

وهكذا بعد تلك الرحلة الشاقة !!... وبعد تلك الرحلة المريرة في الحيـــاة الدنيا !!...

وبعد ذلك الصراع العنيف مع الشيطان !!...

وبعد ذلك الصراع العنيف مع غرائزه !!...وشهواته !!... وميوله !!...

وبعد ذلك الصراع العنيف مع نفسه الأمارة بالسوء !!...

وبعد ذلك الصراع العنيف مع أنانيته !!... وبعد كل ذلك:

يلتفت الى الله !!... ويرى الله !!... ويجعل الله مقياسا له !!...

بعد كل ذلك الصراع العنيف !!...

تراه قد تمسك بالله !!... عبـــد الله !!... وأحـــب الله، وعرفـــه !!... وأطاعه!!...

ومن ثم ذهب اليه !!...

ومن ثم رجع اليه !!...

فكأنه كان في الحياة الدنيا عاريا !!...

والعواري مستردة !!...

فرجع الى مكانه !!... ورجع الى أهله !!... ورجع الى وطنه !!... ورجع الى احبائه !!...

ورأى ما اعد الله (سبحانه وتعالى)- للعارفين !!... والمحبين !!... والمؤمنين !!... والصالحين !!... والمتقين !!... ولهذا يقول الأمام:

(وَتيقَّنَت بالفَوزِ والفلاحِ أرواحهُم !!...)

فبعد أن فازت وفلحت أرواحهم في الحياة الدنيا بقربها من الله !!... بعبوديتها لله !!... بمعرفتها لله !!... باستجابتها لله !!... بحبها، بولعها، بشوقها، وفنائها في الله !!...

تيقنت بالفوز والفلاح أرواحهم في الدنيا !!...وكذلك في الآخرة !!... عندما رجعت الى ربها !!... ورأت ما اعد الله لها من لطف، وخير، ونعيم، ورضوان !!...

فهي نفس مطمئنة راضية ... فتكون النتيجة مرضية عند ربها !!... داخلة في عباد الله (سبحانه وتعالى)- !!... داخلة الى جنته !!...

فهي تيقنت بالفوز والفلاح من الحياة الدنيا !!... لأنها عرفت الله -(سبحانه وتعالى)- !!... ولأنها قربت من الله !!... ولأنها وصلت الى درجة كشف لها الغطاء !!...

ولهذا حصل لها اليقين بالفوز، والفلاح وهي في الحياة الدنيا !!...

فهم والجنة كمن قد رأوها !!... فهم فيها منعمون !!... وهم والنار كمن قد رأوها !!... فهم فيها معذبون !!...

فهم تيقنت أرواحهم بالفوز والفلاح !!... والخير والبشرى !!... وهم في الحياة الدنيا !!...

وكذلك تيقنت مرة أخرى عند قدومهم الى الله !!...

وهكذا ينتقل الأمام –(عليه السلام)– في مناجاته المباركة الى فقرة أخرى، فيقول –(عليه السلام):

• (وَقَرَّت بالنظَرِ الى محبوبِهِم أعينهُم)!!...

هي رحلة ما بين الحبيب ومحبوبه !!...

هي رحلة ما بين العبد وربه !!...

هي رحلة ما بين الأنسان وخالقه !!...

وهذه هي (رحلة العارفين)، وقد ذكر –(عليه السلام)– في بداية المناجاة بقوله:–

(وانحسَرتِ الأبصارُ دونَ النظرِ الى سُبُحاتِ وَجهِك)؟!!...

وقد قلت في تلك الجملة المباركة من أن العارفين لا ينظرون لسوى الله – (سبحانه وتعالى)–

وكل أبصارهم متوجهة اليه !!...

وكل أبصارهم ملتفتة اليه !!...

فكأنهم لا يعنيهم شيء سوى المحبوب !!...

سوى الله، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد !!...

سوى من عرفوه !!... وأرادوه !!... وعبدوه !!... واطاعوه !!...

وقلت ايضا أن المعنى لهذه الجملة المباركة أن العارفين لا ينظرون اليه استحياءً !!... وخجلاً !!... وأستصغاراً لأنفسهم !!...

فهم مع محبوبهم بعد أن عرفوه لا يمكن لهم أن ينظروا اليه !!...

فموقفهم معه موقف العبودية والتذلل !!... والخضوع، والخشوع !!...

وكيف للعبد أن ينظر الى مولاه !!...

وكيف للعبد أن يحدق بوجه سيده !!...

فهم لا يتمكنون من النظر اليه :

رهبة !!...

وخجلا !!...

وأستحياء !!...

وهنا الأمام -(عليه السلام)- يقول في هذه الفقرة المقدسة:

(وقَرّت بالنَظرِ إلى محَبوبِهِم أعينهُم)!!...

فهم بعد تجاوز عالم الشهادة ... وانتقالهم الى عالم الغيب ...

بعد تجاوزهم للدنيا ... وإنتقالهم للآخرة ...

فهم في حالة قرب مركز !!...

فهم في حالة أقرب القرب !!...

ولهذا ما كان قد خفي عنهم من العظمة الالهية في الحياة الدنيا... قد ظهر لهم في الحياة الاخرى !!...

لأن العظمة الالهية مركزة في الآخرة اكثر من الدنيا !!...

ولهذا فهم بعد الرحلة الطويلة ما بينهم وبين الله -(سبحانه وتعالى)- في الحياة الدنيا... تلك الرحلة التي قامت على اساس العبودية، والأيمان، والمعرفة، والحب، والطاعة الى الله (سبحانه وتعالى) ...

ورجعت النفس الى خالقها، وبارئها، الى رب الأربـــــاب !!... وتيقنـــت بالفوز والفلاح !!... بما أعد الله –(سبحانه وتعالى)– للعارفين، الطائعين، المحبـــين الخاشعين، الخاضعين !!...

عند ذلك الى العظمة الالهية !!... وتجلت لها العظمة الالهية بشكل أوضح، وأكبر !!...

وهكذا فهم في رحلة مستمرة، دائمة، طويلة مع ربهم، ومحبوبهم، وسيدهم، وخالقهم !!...

وهكذا فهم في رحلة شيقة، ممتعة مع من عرفـــوه !!... وأحبـــوه !!... واشتاقوا اليه !!... وتولعوا بقربه !!...

وهكذا تكون العلاقة بين الحبيب ومحبوبه !!... كلما يدنو منــــه اكـــثر، ويشعر بالقرب اليه اكثر، يشعر بالراحة !!... والسعادة !!... والأطمئنان !!... والأمن أكثر فأكثر !!...

فهم وصلوا في علاقتهم مع الله –(سبحانه وتعالى)– (**تلك العلاقة المبنية على الايمان، والحب، والمعرفة، والطاعة، والأخـــلاص**) وصلـــوا الى أن قلوبهم وارواحهم تيقنت بهذا القرب، وبــــالفوز والفـــلاح !!... حـــتى كـــأنهم يروه!!...

وهكذا إن الأنسان عاش أي شيء يحبه بعقله ... ونفسه ... وروحـــه ... ومشاعره ... وادراكه

فكأنه يراه دائما !!...

سواء كان:

مغمض العينين !!...

أو مفتح العينين !!...

فأنه يرى ما قد ملأ روحه !!... وقلبه !!... وأحاسيسه ومشاعره !!...

يراه بعينه ... ويراه بقلبه !!...

لأن كل روحه، وقلبه، وعقله مع ذلك المحبوب !!...

ولهذا يراه ولا يرى غيره !!...

ويبصر اليه ولا يبصر الى أي شيء سواه !!...

وتلك هي أسمى معاني القرب !!...

واذا أردنا أن نقرب هذه الرؤية بالأمور المادية فنقول: أن الأنسان لو نظر الى شيء وحدق فيه ... وبعد ذلك أغمض عينيه فأنه سيرى ذلك الشيء، وخيال ذلك الشيء !!...

فكذلك الأنسان المحب الذي عاش الله -(سبحانه وتعالى)- وأحبه ... آمن به أيمان عبودية، وحب، ومعرفة، وطاعة...

عاشه بقلبه، ونفسه، وعقله، وضميره، وأحاسيسه فأنه يراه في كل شيء!!...

ولهذا يقول الأمام -(عليه السلام)-

(وقَرَّت بالنظرِ الى محبوبِهِم أعينهُم) !!...

وعدا ذلك يتعرض الأمام الى شأن العارف المحب، المشتاق، الوَلِه... فهو تراه دائما لا يستقر على حال ولا ترى له قِرار !!...

لأنه يشعر بشيء من البعد !!...

أو لأنه يريد قربا أكثر !!...

ولهذا تراه غير مستقر !!... ولا مرتاح !!...

وإنما تراه مضطربا !!...

فهو يريد المعرفة اكثر !!... ويريد القرب أكثر !!...

أما بعد وصوله الى شيء من المعرفة، والقرب في الحياة الدنيا ... يقول الأمام -(عليه السلام)- في مناجاته:

- (واستقَرَّ بإدراكِ السُّؤلِ ونَيلِ المأمولِ قَرارهُم)

فبعد أن وصل الى شيء من هذه العلاقة المقدسة ما بينه وبين ربه، ومحبوبه، وخالقه وسيده، ومولاه !!...

وبعد أن تذوق حلاوة هذه العلاقة التي كانت هي كل سؤله !!... وكل ما يأمله !!... وما يصل اليه !!...

ولهذا يكون قد استقر !!...

فالعارف، والمحب هو غاية أمله أن يكون سؤله المعرفة !!...

وان يكون سؤله القرب !!...

وأن يكون سؤله الشعور بالرضا !!...

وأن يكون سؤله هو أن لا يرى سوى محبوبه !!...

وسوى سيده !!... ومولاه !!...

ولهذا بعد أن وصل العارف في علاقته مع ربه الى درجة كهذه ...

استقر قلبه !!...

وأطمأنت نفسه !!...

لأنه وصل، وأدرك ما سأله من ربه !!...

وفتح له باب المعرفة !!...

وسمح له بشيء من القرب !!...

بالشكل الذي ملأ روحه، وقلبه، وأحاسيسه فهو وصل الى درجة مع محبوبه، وربه أدت الى أن يعطيه ربه سؤله !!... ومناه !!...

ولهذا استقر قلبه !!... وأطمأنت نفسه !!...

ونال مأموله ... ونال مبتغاه !!...

ونال ما كان يرجوه من المعرفة، والحب، والقرب، والشعور بالرضا !!...

ولهذا بعد أن وصل الى أن اعطاه سؤله !!...

وأناله ما موله !!...

حصل له القرار !!...

وحصل له الأستقرار !!...

وحصل له الأطمئنان !!...

وحصلت له الراحة !!...

لأنه فعلا عاش مع الله !!...

ولأنه فعلا تسلك لطريق الله !!...

وعاش معنى المعرفة، وعاش معنى الحب، وعاش معنى الوله مع محبوبه، وعاش معنى القرب الذي هو نتيجة للتفاعلات بينه وبين ربه ومحبوبه !!... عاش معنى القرب !!...

وعاش مفهوم الرضا بينه وبين ربه، ومحبوبه !!... ولذلك استقر !!... وأخذ قلبه بالقرار، والأستقرار !!...

ونستمر ضمن المسيرة الشيقة، الرائعة مع سيدنا الأمام علي بن الحسين -(عليه السلام)- ضمن مناجاته مع ربه -(مناجاة العارفين) ...

وهكذا نرى الأمام -(عليه السلام)- تسلك في طريقه مع الله -(سبحانه وتعالى)- فابتدأ:

- بقصور الألسن عن ثناء الله -(سبحانه وتعالى)- ومن ثم:
- قصور العقول عن الوصول الى كنه معرفة الله -(سبحانه وتعالى)- !!...

- وأكد على ان العجز عن معرفته هو:

تمام المعرفة !!...

وبين ما يكون بين العبد العارف وبين ربه، ومحبوبه من الحب، والشوق، والوله !!...

وأن أشجار الشوق راسخة في صدورهم، وفي قلوبهم !!...

وأن أشجار الشوق ملئت كل جوارحهم، وأحاسيسهم !!... حتى أن دواخلهم كلها حديقة يانعة، مثمرة بحب الله، ومعرفته !!...

وهذا الشوق، وهذه اللوعة هي بجميع قلبه، وبجميع احاسيسه، ومنها في أفكارهم، وعقولهم ولهذا ترى الحب في قلوبهم !!...

والشوق في صدورهم !!...

وأن افكارهم، وعقولهم كلها مع محبوبهم !!...فلا يفكرون إلا به !!...

وبذلك وصلوا الى درجة من القرب ... فأنكشف لهم ما بينهم وبين محبوبهم !!...

ووصلوا الى حياض الحب التي تجمع بين الحبيب ومحبوبه !!...

واستأنسوا بالملاطفة بين العارف وبين من عرف !!...

بين العاشق ومعشوقه !!...

وبين الحبيب ومحبوبه !!...

استأنسوا بهذه الملاطفة !!... وأخذوا يكرعون كؤوس الحب، واللطف، والعشق، والفناء !!...

صفت نفوسهم !!... وانجلت الظلمة، والريب عن عقائدهم !!... وضمائرهم !!...

وذهب ما يمكن أن يكون في صدورهم من الشك والشبهة !!... والوهم!!... وما يلقيه الشيطان في روعهم !!... وفي صدروهم !!... وعقولهم !!... وافكارهم !!...

كل ذلك قد ابتعد عنهم !!...

لأن قلوبهم، وسرائرهم قد صفت مع الله –(سبحانه وتعالى)– وانشرحت بالمعرفة صدورهم !!...

وبعد انشراح صدورهم مع الله –(سبحانه وتعالى)– لأن المعرفة تحققت ما بينهم وبينه !!...

زهدوا بكل شيء سوى الله !!...

وتمت المعاملة ما بينهم وبين ربهم ... فهم دائما مع الله ويشعرون أنه (سبحانه وتعالى) دائما معهم !!...

ولهذا عذب في معين المعاملة شربهم، وهم يعيشون حالة الأنس عند ذكرهم لمحبوبهم !!...

فمجالسهم طيبة مع محبوبهم !!...

وطاب في مجلس الأنس سرهم !!... فهم في حالة خلوة دائمة مع محبوبهم!!...

مطمئنين، آمنين مع الله !!... سواء كان في الحياة الدنيا أو كان في الآخرة!!...

لأنهم رجعوا بكلهم الى الله !!... رجوعا دنيويا !!... ورجوعا أخرويا!!...

ولهذا هم دائما باعلى درجات الأطمئنان، والسعادة، والراحة، والخير!!...

لأن أنفسهم مطمئنة بالله، ومع الله !!...

مطمئنة برجوعها الى رب الأرباب !!...

وهكذا عاشوا حالة الفوز، والفلاح بأرواحهم !!...

وشعروا بالقرب اكثر فأكثر من محبوبهم !!... فهم لا يرون سواه !!...

وأعطاهم المحبوب سؤلهم، ومناهم، وبغيتهم !!...

اعطاهم ما طلبوه منه من القرب، والمعرفة، والرضا !!...

ولهذا استقر بأدراك السؤل، ونيل المأمول قرارهم !!...

هذا ملخص الرحلة ما بينهم وبين ربهم ...

هذا ملخص رحلة العارفين ...

وبعد ذلك ينتقل الأمام -(عليه السلام)- الى موضوع مهم في مجال معرفة الله -(سبحانه وتعالى)- فيقول:

• (وربحت في بيع الدنيا بالآخرة تجارهم)!!...

فهم عرفوا الله !!... وهم أحبـوا الله -(سـبحانه وتعـالى)- بعـد أن عرفوا!!... وهم تولعوا بهذا المحبوب الذي عرفوه !!... وهم صاروا بحالة الولـع، والشوق، والفناء، مع محبوبهم...

فهم لا يريدون شواه !!...

ولا يبتغون غيره!!...

فهو بالنسبة اليهم:

الأول والآخر !!... والظاهر والباطن !!...

وعرفوا أن الدنيا هي المبعدة عن الله -(سبحانه وتـالى)- !!...

عرفوا قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

(حب الدنيا رأس كل خطيئة)!!...

عرفوا الدنيا على واقعها !!...

عرفوا الدنيا على حقيقتها !!...

عرفوا الدنيا كما ورد في الحديث الشريف، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

(لو أن الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة !!...

ما سقى منها الكافر شربة ماء)!!...

عرفوا أن الدنيا، والحريص عليها مثل (دودة القز كلما ازدادت لفا... كان أبعد لها من الخروج ... حتى تموت غما) !!... كما ورد في الحديث عن الأمام جعفر بن محمد الصادق -(عليه السلام)- ...

عرفوا أن الدنيا سجن المؤمن !!... وجنة الكافر !!...

لأن الكافر لا يعتقد أن وراءه حساب، وعقاب، ونار !!... ولذلك تراى الدنيا أكبر همه !!... لأنه يعتقد أن الدنيا جنته !!...

والحال أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لعلي:-

(ياعلي:

الدنيا سجن المؤمن !!... وجنة الكافر)!!...

ياعلي:

إن الدنيا لو تعدل عند الله جناح بعوضة !!...ما سقى منها الكافر شربة ماء)!!...

ياعلي:

(ما من أحد من الأولين، والآخرين إلا وهو يتمنى يوم القيامة أنه لم يعط من الدنيا إلا قوته)!!...

لأنه كلما يعطي من الدنيا أكثر ...

يكون وقوفه يوم القيامة أمام الله أكثر !!...

لأن كلما يعطي أكثر يكون البعد أكثر ما بينه وبين محبوبه !!... وخالقه!!... ومولاه !!...

رب أن يكون حاجبا، وحاجزا يشغله عن القرب الى محبوبه !!...

ولهذا نرى ان الله –(سبحانه وتعالى)– يقول:

(إعلموا إنما الحياة الدنيا لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر بالاموال والأولاد)!!...

إلا أنه –(سبحانه وتعالى)– يقول هذا عن الدنيا، ويمثل ذلك بقوله:

(كمثل غيث أعجب الكفار نباته !!...

ثم يهيج فتراه مصفرا !!... ثم يكون حطاما !!... وفي الآخرة عذاب شديد)!!...

عرفوا أن الدنيا زينة، ولعب !!... وأنها زائلة، غير باقية !!... وأنها لا معنى لها !!...

يمكن ان تعجب من يراها !!... ولكن النتيجة هي غير باقية !!...

ولكن النتيجة: حسرتها هي التي تبقى !!...

ندمها هو الذي يبقى !!...

وكذلك يقول الله –(سبحانه وتعالى):

(وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)!!...

فمن تعلق بالدنيا !!... فقد تعلق بمتاع الغرور !!...

أي تعلق بهباء منثور !!...

ولهذا يقول الصحابي الجليل سعيد بن جبير (رض)

(الدنيا متاع الغرور ... اذا ألهتك عن طلب الآخرة !!...

اما اذا دعتك الى طلب رضوان الله ... وطلب الآخـــرة ...

فنعم المتاع !!... ونعم الوسيلة)

فهم بعد هذه الرحلة من المعرفة بينهم وبـــين ربهـــم ... بـــاعوا الدنيـــا والآخرة!!...

لأنهم عرفوا حقيقة الدنيا وهـــم في الدنيـــا !!... قبـــل أن يذهبـــوا الى الآخرة...

لأن القاعدة في الناس، كما يقول الحديث:

(الناس نيام !!...

اذا ماتوا أنتبهوا !!...).

إلا أن هؤلاء العارفين انتبهوا قبل أن يموتوا !!... وارادوا المعرفـة لله !!... وارادوا القرب من الله !!...

ولهذا باعوا دنياهم ليحصلوا على آخرتهم !!...

ولهذا ترى الأمام امير المؤمنين –(عليه السلام)– يقول.

(إنما الدنيا عناء !!... وفناء !!... وعبر !!... وغير!!...

فمن فنائها :

أنك ترى الدهر موترا قوسه !!...

مفوقا نبله !!... لا تخطــــئ ســـهامه !!... ولا يشـــفى جراحه!!...

يرمي الصحيح بالسقم !!...

والحي بالموت !!...

ومن عنائها:

أن المرء يجمع ما لا يأكل !!...

ويبني ما لا يسكن !!...

ثم يخرج الى الله ...

لا مالا حمل !!...

ولا بناءا نقل !!...

ومن غيها:

أنك ترى المغبوط محروما !!...

والمحروم مغبوطا !!...

ليس بينهم الا نعيم زل !!...

وبؤس نـــزل !!...

ومن عبرها :

أن المرء يشرف على أمله ...

فيتخطفه أجله !!...

فلا أمل مدرك !!...

ومؤمل متروك !!...)

فهم عرفوا الدنيا وباعوا !!... لأجل أن يربحوا الآخرة !!...

وكان على قمة ذلك:

- النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) !!...

- والائمة الأطهار -(عليهم السلام)- !!...

فعندما جاء ملك الموت عزرائيل -(عليه السلام)- الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال له:

(أجئتني قابضاً... أم مخيراً...

قال:

بل جئتك مخيراً !!...

وقال له:

(وللآخرة خير لك من الأولى !!...

ولسوف يعطيك ربك فترضى !!...

الم يجدك يتيماً فأوى !!...

ووجدك ضالاً فهدى !!...

ووجدك عائلاً فأغنى !!...)

وعند ذلك باع الدنيا ليحظى بلقاء ربه !!...

ونرى الأمام أمير المؤمنين -(عليه السلام)- بعد تلك الرحلة الشاقة في دنياه، وهو في دوام العلاقة مع ربه...

عندما سقط في محرابه !!... قال

(فزت ورب الكعبة !!...)

فقد باع دنياه !!...

ويعتبر النقلة من الدنيا من الآخرة هو منتهى الفوز !!... ولذلك قال كلمته (فزت ورب الكعبة)!!...

وكان يقول:

(متى يأتي أشقاها !!... فيخضب هذه من هذه !!...)

(ويشير الى رأسه ونحره)

وكان الأمام الحسين -(عليه السلام)- يقول وهو مفارق للدنيا ... وهو بائع للدنيا وما فيها !!... يبيع الدنيا ليشتري الآخرة !!... وتربح تجارته !!... يقول:

(لا أرى الموت إلا سعادة !!...

والحياة مع الظالمين إلا برما !!...)

وكان يقول:

(خط الموت على ولد أبن آدم، كمخط القلادة على جيد الفتاة !!...

وما أولهني الى أسلافي !!...

أشتياق يعقوب الى يوسف.)!!...

فهو بعد تلك الرحلة الطويلة الشاقة يقول:

(ما أولهني الى أسلافي.)!!...

فهو قد باع دنياه لأجل آخرته !!...

باع دنياه ليربح القرب من ربه !!... ومحبوبه !!...

ولهذا نرى أن الله –(سبحانه وتعالى)– يخاطب نبيه الكريم محذرا له من الدنيا ومن التعلق بها !!... قائلا له في سورة الكهف:

(وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي !!... يريدون وجهه !!...

ولا تعد عيناك عنهم ... تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا !!... وأتبَّع هواه !!... وكان أمره فرطا.)!!...

وكذلك نرى العارفين بالله –(سبحانه وتعالى)– قد باعوا الدنيا بالآخرة!!...

قد تاجروا مع الله –(سبحانه وتعالى)– فربحت تجارتهم !!... وما أربح هذه التجارة !!... وما أسمى هذه التجارة !!... وما أشرف هذه التجارة !!... فهي تجارة مع الله !!...

فهي تجارة بعد العبودية، والأيمان، والمعرفة، والطاعة !!...

عرفوا الله –(سبحانه وتعالى)– ... فزهدوا بالدنيا وما فيها !!...

وباعوها وربحوا الآخرة !!...

فباعوا الزائلة !!...

وربحوا الباقية الدائمة !!...

باعوا الممر !!... لكي يربحوا المقر !!...

ولهذا يقول الأمام:

(ورَبِحَت في بَيعِ الدُنيا بالآخِرةِ تجارتُهم)

نعم، هذه هي علاقة العارفين بالله -(سبحانه وتعالى)- فوصلوا مع الله الى درجة من المعرفة معها باعوا الدنيا بأجمعها !!... وأشتروا الآخرة !!...

تلك هي الألطاف الالهية، والنعم الربانية لمن صدق مع الله !!... وأخلص في حبه، ومعرفته !!... فنرى أن العبد في علاقته مع الله لو باع شيئا من أشياء دنياه مخلصا لله ... محبا لله ... عارفا بالله ...

يكون له من الأجر والثواب ما لا يعد ولا يحصى !!... ويضاعف لمن يشاء !!...

فلو أعطى مالأ لوجه الله -(سبحانه وتعالى)-مبتغيا ثواب الله، ولطفه ...

يعتبره الله قرضا يعيده اليه !!... ويضاعفه له !!... ويعطيه من الأجر والثواب ما لا يعد ولا يحصى !!...

ولو أنفق علمه في سبيل الله، يكون له من الأجر والثواب ما لا يعد ولا يحصى !!...

وكذلك لو أنفق جاهه، أو شيئا مما لديه في الحياة الدنيا (اذا انفق لله، وفي سبيل الله، حبا لله، وطاعة لله، ومعرفة به) ... فيكون له من الأجر والثواب ما لا يعد ولا يحصى !!...

فكيف به اذا باع كل الدنيا بما فيها من مال !!... وعلم !!... وجاه!!... وكل المتعلقات !!...

باعها لله -(سبحانه وتعالى)- كي يربح الآخرة !!... كي يربح اللقاء، والرضا، والقرب، والحب من حبيبه !!...

ولهذا تكون النتيجة:

(ورَبِحَت في بَيعِ الدّنيا بالآخِرَةِ تجارتُهم) ...

وبذلك وصل الى درجة من السمو في هذه العلاقة المقدسة ما بينه وبين ربه، ومحبوبه، وسيده ومولاه !!...

لأنه تخلى عن كل شيء مادي !!...

ولأنه تخلى عن كل شيء يربطه مع الدنيا !!...

وبالدنيا، والى الدنيا !!...

فكأنه تجرد الى الله !!...

فكأنه صفا لله !!...

فكأنه صار كله لله !!... نفسا !!... وروحا !!... وعقلا !!... وفكرا!!... وحبا !!... وعشقا !!... وفناءا !!...

فلا يكون له أي أرتباط ولا أي علقة بغير الله -(سبحانه وتعالى)- !!...

وهذا هو من معاني السمو والرفعة في العلاقة ما بين الحبيب ومحبوبه !!... وما بين العبد وربه !!...

ولهذا يقول الأمام -(عليه السلام)- في الفقرة التالية:

- (إلهي ما ألذَّ خواطِرَ الإلهامِ بذكرِكَ على القُلوب.)!!...

فهو بعد أن تخلص من الدنيا !!...

فهو بعد أن باع دنياه !!...

فهو بعد أن تجرد من الدنيا ومتعلقاتها المادية !!...

فهو قد تخلـــى لله –(ســبحانه وتعــالى)– وحــده !!... بقلبــه !!...
وروحه!!... وفكره !!... وأحاسيسه !!... وكل أدراكاته !!...

ولما تخلى لله وحده !!...

تأكدت حالة الصفاء ما بينه وبين ربه، ومحبوبه !!... ولما تتـــأكد حالـــة الصفاء ...

يكون الألهام من الحبيب الى محبوبه !!...

لأنه اخذ بكل قلبه، ونفسه، وعقله، وضميره، ومشاعره، وأحاسيسه!!...

ولهذا يكون في حالة لذة مع محبوبه !!...

وفي حالة اتصال دائم مع سيده ومولاه !!...

ويكون وعاءا كاملا !!... وعاءا صافيا !!... ووعاءا قـــابلا لنـــزول الخواطر الالهية !!... والألهامات الربانية !!...

ولهذا يقول الأمام:

(إلهي ما ألذَّ خواطِرَ الألهام بِذِكركَ)!!...

فهو بعد أن تخلى عن كل شيء سوى الله !!...

وبعد أن باع دنياه لأجل أن يربح آخرته !!...

فقد أنفرد بالله !!... ولما أنفرد بالله، ملأ كل قلبه، وأحاسيسه !!...

فهو بدوام الذكر مع الله !!... فهناك:

حالة صفاء !!...

وحالة توجه !!...

وحالة انقطاع !!...

وحالة ذكر !!...

فهو لا يغفل لا بقلبه !!...

ولا بلسانه !!...

عن حبيبه، وعن محبوبه !!...

فهو دائم الذكر له !!...

ودوام هذا الذكر يسبب:

نــــزول الخواطر الالهية !!...

ونـــزول الألهامات والتسديدات الالهية للعبد المحب، العارف، المتوجه بكله الى الله -(سبحانه وتعالى)- !!...

ولهذا نرى أن الأمام جعفر بن محمد الصادق -(عليه السلام)- يقول:

(اذا تخلى المؤمن من الدنيا ...

سما !!... ووجد حلاوة حب الله !!...

فلم يشتغل بغيره.)!!...

وهكذا المؤمن العارف بالله -(سبحانه وتعالى)- الذي أنقطع الى الله بكله، بقلبه، ونفسه، وروحه، وكل أحاسيسه !!...

فهو يشع بحالة الخلوة ما بينه وبين الله !!...

وحالة الأنفراد، وحالة الصفاء، وحالة الأنس، وحالة الجلسة مع الله !!...

فهو قد تخلى عن الدنيا بكل ما فيها !!...

تخلى عن الدنيا وتخلى لله وحده !!...

اذا حصل ذلك كما يقول الأمام الصادق -(عليه السلام)-

(سما !!...)

سما عن كل الأمور المادية !!...

عن الدنيا وما فيها !!...

فلا يرى أي وزن وأهمية لكل هذه الأمور الدنيوية بمقدار ما تربطه بالله!!... إلا بمقدار ما توثق علاقته مع الله !!... إلا بمقدار ما تعطيه دفعة الى حبيبه، والى القرب منه !!...

ولهذا يقول:

(اذا تخلى المؤمن عن الدنيا سما !!...).

فكأنه يكون أرفع من الدنيا وما فيها !!...

يكون أعلى من الدنيا وما فيها !!...

يكون أعلى من كل الماديات !!...

يسمو بروحه !!... يسمو بعلاقته مع الله –(سبحانه وتعالى)– !!...

واذا سما عن الدنيا وعن كل الماديات، وتخلى لله –(سبحانه وتعالى)، وعاش حالة الأنس مع الله، وحالة الخلوة مع الله، والأنفراد مع الله !!...

عند ذلك يجد حلاوة حب الله !!... لأنه ليس في داخله ما يشغله عن الله –(سبحانه وتعالى)– وإنما كل الذي في داخله.

هو الله !!... وما يقربه الى الله !!...

واذا ذاق حلاوة حب الله –(سبحانه وتعالى)– فلم يشتغل بغيره !!...

ولهذا نرى أن الأمام علي بن الحسين، زين العابدين يقول في بعض مناجاته مع ربه:

(إلهي مَنْ ذاقَ حلاوةَ قُربِكَ، ورامَ عنها بَدلا.)!!...

فالذي يتوجه الى الله –(سبحانه وتعالى)، وينفرد بالله، ويجلس مع الله، ويشعر بالقرب، ويشعر بالذكر، ويشعر بحلاوة القرب والمعرفة، وحلاوة الحب!!...

فلا يمكن أن يقبل بأي بديل آخر !!... أو أن يروم عنها بدلا !!... أو ان يرضى بأي شيء دون هذه العلاقة المقدسة !!...

فهو قد باع دنياه بكل ما فيها !!... فبأي شيء يرضى !!... فهو قد قطع كل العلاقات المادية بمال، أو جاه، أو علم، إلا ما كان لله !!... إلا ما كان في سبيل الله !!... إلا ما كان لوجه الله !!...إلا ما كان مقربا ما بينه وبين الله !!...

كل ذلك لأجل أن يصل الى حبيبه، ومحبوبه !!... كل ذلك لأجل أن يكون بدرجة من القرب أكثر فأكثر !!... فكيف يروم عن هذا القرب بديلا آخر؟!!...

وكيف يمكن أن يرضى بأي شيء سوى الله -(سبحانه وتعالى)-؟!!...

عن هذه اللذة المقدسة !!...

ولهذا بعد أن تخلى عن الدنيا، ووجد حلاوة حب الله، فلم يشتغل بغير الله، وبغير حبه !!...

يخبرنا الأمام الصادق -(عليه السلام)- في حديث له عن سبب اشتغاله بحب الله وحده، حيث يقول:

(أن القلب اذا صفا...

ضاقت به الأرض حتى يسمو.)!!...

فبعد أن يكون القلب قد صفا، وصفت علاقته مع الله -(سبحانه وتعالى)!!...

عند ذلك لا يمكن أن تستوعبه الأرض !!... فهو أسمى من الأرض !!... وأعلى من الأرض !!... وأطهر من الأرض !!...

لأن في الأرض المدنسات !!...

لأن في الأرض أنواع النزغات من الشيطان !!...

لأن في الأرض ما يكدرها !!...

لأن في الأرض غفلة !!...

لأن في الأرض اعراض !!...

لأن في الأرض وسوسة شيطان !!...

وهو قد صفا مع الله -(سبحانه وتعالى)- !!... وأختلى لله !!... وأنفرد بالله !!... وأنس مع الله !!... وقرب لله !!...

فهو لا يمكن أن تجمعه الأرض بما فيها من سعة ولهذا نفسه، وروحه تسمو!!...

وقلبه يسمو !!...

ولهذا نرى الأمام زين العابدين -(عليه السلام)- يقول:

(إلهي ما ألذَّ خواطِرَ الألهامِ بذكرِكَ.)!!...

وكأن العبد العارف بمقدار ما يذكر الله -(سبحانه وتعالى)- يتوجه الى خواطر الألهام النازلة من لدن رب الأرباب الى عبده !!... وعارفه !!... ومحبه!!...

ومن الواضح أن الذكر المقصود في هذه الجملة المباركة هو ذكر القلب!!...

هو أن يكون القلب ذاكرا لله !!...

هو أن يكون عيشه مع الله !!...

أن تكون حياته بالله !!...

فاذا كان القلب بهذه الصفة في علقته مع الله، وهو ذاكر لله بقلبه، وبلسانه!!...

عند ذلك يكون وعاءا، قابلا، صافيا !!...

يكون وعاءا نقيا، طاهرا !!... لنزول الخواطر، والألهامات على قلبه!!...

ولهذا يقول:

(ما ألذَّ خواطِرَ الألهام بِذكرِكَ على القُلوب)!!...

ويكون القلب كله متعلقا بالله، مرتبطا بالله !!... لأنه تخلى عن الدنيا وما فيها !!...

وأعتصم بالله وحده، عبودية، وإيمانا، وطاعة وحبا، ومعرفة، وشوقا، وولها، وفناءا !!...

فهو بمقدار ذكره لله ... يستلم الأمدادات الاهية !!... والخواطر الربانية!!...

ولهذا ورد في الحديث القدسي:

(ما زال عبدي المؤمن يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه !!...

فأن أحببته ...

أكون عينه التى ترى !!...

وأذنه التي تسمع !!...

ويده التي تعمل !!...)

وهنا معنى الحديث القدسي:

النوافل: هي العلاقة الوثيقة التي تربط العبد بربه !!... وتربط الحبيب بمحبوبه !!... وتربط العارف بسيده، ومولاه !!...

فبمقدار توثيق هذه العلاقة، وبمقدار تأكيد هذه الصلة ما بين الأنسان وربه حتى تصل الى درجة من الصفاء ما بينه وبين الله !!...

ويرى الله صدق هذه العلاقة، ويرى الله صفاء هذه النية، ويرى الله طهارة هذا القلب !!...

فيحب هذا العبد !!...

فأن أحبه !!...

يكون عينه التي ترى !!... وأذنه التي تميع !!... ويده التي تبطش !!...

وهكذا عاش العارفون اللذة بالخواطر الالهية والألهامات الربانية !!...

فهم بدوام الذكر لله -(سبحانه وتعالى)- لأن الذكـــر مــلأ نفوســهم، وأرواحهم، وأحاسيسهم، وبعد هذه اللذة الروحية في المســير الى الله -(ســبحانه وتعالى)- والأنفتاح الى الله، والتواصل المؤكد بين الحبيب ومحبوبه !!...

فهناك شعر بهذه اللذة التي هي نتيجة القــرب المتواصــل بــين الحبيــب ومحبوبه!!...

وبعد أن عاش هذه اللذة ... أرتفع درجة في هذه العلاقة المقدســة مــع الله!!...

أرتفع درجة في معرفته بالله -(سبحانه وتعالى)-

لأن المعرفة بمقدار المواصلة !!...

وبما أن المواصلة هنا صارت مواصلة مؤكدة، مركزة من دون أنقطاع!!...

فشعر بلذة هذه المواصلة !!...

وتدرج في هذه المواصلة مع الله !!...

وبعد هذا التدرج من المواصلة، والحب، والمعرفة بالله -(سبحانه وتعــالى)- تذوق حلاوة هذه المعرفة !!...

وتذوق حلاوة هذا القرب !!...

وتذوق حلاوة هذا الشوق مع الله !!...

بعد المعرفة، والشوق، والفناء !!...

ولهذا يقول الأمام -(عليه السلام)-:

• (وما أحلى المسيرَ اليكَ بالأوهامِ في مسالِكِ الغيُوب)!!...

فهو بعد أن عمرت اللذة قلبه !!... والنشوة روحه !!... والسعادة لأجزائه، وأحاسيسه !!...

هنا أرتفع درجة !!... وجعل لكل تلك اللذة طعم !!...

وكان هذا الطعم: حلاوة !!...

ولكنه لا يشبهه أي حلاوة آخرى !!...

ولهذا يقول:

(وما أحلى المسيرّ إليكَ ...)!!...

فكأن خواطر الألهام هي طريق ما بين الحبيب وحبيبه، وما بين العبد وربه!!...

وهذا الطريق يسلك ... فسلكه !!... ولما سلكه كان بمنتهى اللذة، والنشوة!!...

وبعد هذه اللذة، والنشوة الروحية التي تأكدت حتى وصلت الى درجة التذوق لها !!...

فهي لا يوجد أطيب منها !!...

ولا يوجد ما هو أحلى منها !!...

ولا يوجد ما هو أسمى منها !!...

وذلك فهو سائر على هذا الطريق (طريق خواطر الألهام ما بين العبد وربه) ... وكأن هذا الطريق هو الطريق الوحيد !!... وما ألذ هذا الطريق !!... وما أحلى هذا السير الذي يربطه مع ربه، وخالقه، وحبيبه، وسيده، ومولاه !!...

ثم يقول -(عليه السلام)-

(وما أحلى المسيرَ اليكَ بالأوهامِ في مسالِكِ الغيوَب)

وكأن الأمام -(عليه السلام)- يريد أن يقول وهو يناجي ربـــه مناجـــاة العارفين مؤكدا لما قاله في بداية المناجاة:

(أن العجز عن ادراكك ياالهي، والعجز عن معرفتك هو يعـــني المعرفة.)!!...

فكذلك هنا السير الى الله -(سبحانه وتعالى)- هو ليس نقطة معينة حـــتى نسير، ونصل اليها ...

هو ليس وجود خارجي حتى نسير ونصل الى ذلك الوجود !!...

ولكن هو شيء ليس كالأشياء !!...

هو وسع كرسيه السموات والأرض !!...

هو الأول والأخر !!... والظاهر والباطن !!...

فالسير اليه سير بما يلقي في النفس، والروح، والعقل، والمشاعر من معـــاني القرب اليه -(سبحانه وتعالى)-

ومن معاني المعرفة به -(سبحانه وتعالى)-

وهذه المعاني التي تلقي في نفس الأنسان، وقلبه، وروحه، وعقله يعبر عنـــها الأمام -(عليه السلام)-:

(وما أحلى المسيرَ إليكَ بالأوهامِ في مسالِكِ الغيوُب)!!...

فهو يسلك طريق الغيب !!... وهو يسلك الطريق غير المحســـوس !!... يسلك الطريق اللامادي في هذا السير الى الله -(سبحانه وتعالى)-!!...

لأن المقصود هو غير مادي !!...

لأن المقصود هو وجود ليس كباقي الوجودات !!...

ولهذا لا بد أن يكون السير اليه يناسب ذاته !!...

ولهذا كانت النتيجة أن هذا السير يكون بالأوهام في مسالك الغيوب!!...

فهو يدخل ويسلك في غيب !!... وغيب !!... وغيب !!...

لأن المقصود هو غيب !!...

ولأن القاصد قد وصل الى معرفة هذا الغيب !!... وأحبه !!... وتقرب منه !!... وانكشف له الغطاء فتدرج في السلوك ... وتدرج في المسير ... ومن المؤكد أن هذا السير لا نهاية له !!...

وأن هذا الطريق لا منتهى فيه !!...

لأن الغيب لا نهاية له !!...

ولأن الله –(سبحانه وتعالى)– هو لا نهاية له !!...

الا إن هذا العارف بعد المعرفة، وبعد لذة الألهامات والخواطر رأى النور في طريقه !!... فسلك ذلك الطريق !!... ورآه أحلى ما يكون !!...

وكأن الأمام –(عليه السلام)– يريد أن يؤكد هذه الحلاوة !!... وأن يعطي لها سببا... فيقول –(عليه السلام)–:

- (وما أطيبَ طَعمَ حُبِّكَ.)!!...

فكأن السير اليه –(سبحانه وتعالى)– في مسالك الغيوب يسبب القرب أكثر فأكثر !!... ولهذا يقول الأمام بعد أن سار المحب، بعد أن سار العارف في مسالك الغيوب المقربة الى الله –(سبحانه وتعالى)– يقول:

(وما أطيبَ طعمَ حُبِّكَ)!!...

ولم يقل الأمام:

(وما أطيب حبك)؟!!...

وكذلك لم يقل:

(وما ألذ حبك)؟!!...

فكأنه أي (العارف بالله) تذوق أولا هذا الحب !!... فرآه طيبا !!...
وبعد ان رآه طيبا أخذ منه !!... ولما أخذ منه وصل الى درجة الحب لله -(سبحانه وتعالى)- !!...

وتلك هي من أسمى صفات العارفين بالله -(سبحانه وتعالى)-!!...

فهم لا يرون غير الله !!... ولا يسعدون إلا بالله ولا يجلسون، ولا يأنسون إلا مع حبيبهم وهو الله -(سبحانه وتعالى)-!!...

ولهذا يقول:

(وما أطيبَ طعمَ حُبِّكَ)!!...

فكأنما بحب الله طعم خاص، لا يشابهه أي طعم آخر !!... ولا أي لذة أخرى !!...

باعلى المستويات !!... وأرقى العلاقات !!... ولهذا تكون النتيجة ذوق حبه وهو أطيب ما يكون !!... وله طعم لا يشبه. أي طعم آخر !!...

• (وما أعذَبَ شِربَ قُربِكَ.)!!...

قلنا في جمل سابقة:

أن غاية ما يأمله العارف هو القرب !!... هو الدنو !!...هو الأتصال الدائم، والشعور بهذا الأتصال !!... هو الأتصال، وأن يعيش هذا الأتصال مع محبوبه !!...

وأن يلتفت الى أن محبوبه كذلك يعيش هذا الأتصال معه !!...

فهو إتصال ليس من جانب واحد !!...

وليس من طرف واحد !!...

وإنما من الطرفين !!...

وإنما هو من الجانبين !!...

فهو أولاً :

رأى لذة القرب !!...

وبعد ذلك:

رأى أنه أطيب طعم ممكن أن يتذوقه هو !!... ومن ثم:

اراد أن يرى حبيبه معه !!... وما هي علاقة حبيبه به !!...

ولهذا يقول:

(وما أعذبَ شِربَ قُربِكَ.)!!...

فكأن هذا القرب يعطيه من مائه !!... يعطيه من معينه !!...

ذلك المعين الذي لا ينضب !!...

ويعطيه من كوثره !!...

وبذلك يتوضح له أن العلاقة ما بينه وبين حبيبه ليست من جانبه فحسب!!...

وإنما من جانبه وجانب من حبيبه كذلك !!...

هو من جانبه:

شعر بأسمى مراتب الراحة، والسعادة، والفناء مع حبيبه !!...

شعر بحلاوة القرب !!...

شعر بأن هذا القرب هو أطيب طعم !!...

ومن ثم أراد أن يعرف علاقة حبيبه به !!...

فرآها أعذب ما تكون !!...

...نهـا:

(شراب من اللذة الالهية)!!...

(شراب من القرب الالهي)!!...

...لك يقول الأمام –(عليه السلام)–:

(أعِذنا من طَردِكَ وإبعادِكَ.)!!...

هو يلتمس من حبيبه ... يلتمس من ربه، وسيده، ومولاه، ومـــن عرفـــه

والرحمة، والشفقة، والحنان، والعطاء !!...

يلتمس ممن أغدق عليه وأنعم !!...

يلتمس ممن ذاق حلاوة قربه !!...

يلتمس منه ان لا يطرده من مجلسه !!...

أن لا يبعده من لطفه، وقربه !!...

لأنه لا يرى هناك حياة بعيدة عن محبوبه !!...

لأنه لا يرى هناك حياة بعيدة عمن عرفه، وعاش معه، وسلك في طريقـــه،

...ني قربه، وسعد بها، وألتذ بها، وأنتشى بها، وحيا بها !!...

ويريد أن يموت عليها !!... وبها يبعث !!... ويقف بين يدي الله (سبحانه

...ل:

(فأعذنا...)

يعني: أجرنا !!...

... أبعدنا !!...

ياحبيبنا !!... ياسيدنا !!... يامولانا !!... يامن عرفناه فاحببناه
يامن عرفناه فعبدناه !!... يامن عرفناه فعشقناه !!... يـــامن عرفنـــاه
به!!... وتفانينا فيه !!...

(أعذنا !!... أعذنا !!...

سيدنا !!... مولانا !!... حبيبنا !!...)

من طردك !!... وإبعادك !!...

من طردك من معرفتك !!...

من إبعادك عن طريقك !!...

الهي قربنا اليك ... وتقرب الينا !!...

الهي حببنا اليك ... وتحبب الينا !!...

(اعِذنا من طَردِكَ وإبعادِك !!...).

ولهذا نرى الأمام أمير المؤمنين –(عليه السلام)– يقول في دعائه:

(إلهي أن طردتني من بابك فبمن ألوذ !!...)

ولا توجد هناك إلا باب واحدة وهي:

باب الله –(سبحانه وتعالى)– !!...

وليس هناك إلا طريق واحد وهو:

طريق الله –(سبحانه وتعالى)– !!...

وليس هناك إلا مسلك واحد وهو:

المسلك الذي يؤدي الى الله –(سبحانه وتعالى)– الى الحبيب

الى الأول، والآخر، والظاهر والباطن !!...

الى من ملأ قلوبنا !!... وأرواحنا !!... وعقولنا !!... وأفئدتنـــا !!... وضمائرنا !!... ومشاعرنا !!... واحاسيسنا

ولهذا يقول:

(أعِذنا من طَردِكَ وإبعادِكَ !!...

وأجعلنا من أَخصِّ عارِفيكَ...)!!...

فالمعرفة كما قلنا هي درجات تكامليـــة في العلاقـــة مـــع الله -(ســـبحانه وتعالى)- فيريد الأمام في مناجاته، وبعد هذه الرحلة الممتعة اللذيذة مع ربـــه يلـــح عليه أن يجعله من أخص عارفيه !!...

فهناك:

- معرفة عامة ...
- معرفة خاصة ...

فيريد أن تكون معرفته بالله-(سبحانه وتعالى)- من المعرفة الخاصة !!...

أن تكون هذه المعرفة مبتنية على أسس واضحة متينة ما بينه وبين ربه!!...

معرفة مبتنية على تمام العبودية !!...

وتمام الأيمان !!...

وتمام الحب !!...

وتمام الولع والفناء مع الله !!...

معرفة تكون مبتنية على تمام العيش مع الله !!... والأنصهار الكامل مـــع الله وحده !!...

معرفة لا تشبهها معرفة !!...

معرفة لا يدانيها معرفة !!...

معرفة تملئ العقل !!... والنفس !!... والروح !!... والضمير !!...

• (واجعلنا من أَخَصِّ عارِفيكَ ... وأَصْلَحِ عِبادِكَ...)

فالكل عبيد الله (سبحانه وتعالى)- !!...

ولكن هناك من التفت الى عبوديته !!...

وهناك من لم يلتفت الى عبوديته !!...

وهناك من استجاب لعبوديته !!...

وهناك من لم يستجب لعبوديته !!...

وهناك من تفاعل مع عبوديته !!...

وهناك من تنكر لهذه العبودية !!...

وهناك من عاش هذه العبودية !!...

وهناك من لم يعش هذه العبودية !!...

هناك من تلفظ بالعبودية !!...

وهناك من تسلك العبودية !!...

هناك من جعل العبودية وجوداً !!... وايماناً !!... وصلاحاً !!... وإستقامة مع الله -(سبحانه وتعالى)- وطاعة !!... وحباً !!... وشوقاً !!... وفناءاً !!... وإنصهاراً !!...

وهناك من لم يعش العبودية بكل معانيها !!...

فالأمام يقول:

• (وأَصْلَحِ عِبادكَ وأَصْدَقَ طائعيك...)

كأنه يريد أن تكون المعرفة، والعبودية مع الصدق الكامل مع الله -(سبحانه وتعالى)- !!... مع الصفاء الكامل في النية لله -(سبحانه وتعالى)- لا تشوبها شائبة !!...

• (وأصدَقِ طائِعِيكَ وأخلَصِ عُبّادِكَ) ...

كلمة (عبادك) فيها تركيز للعبادة !!...

تعطي معنى العبادة مع المعرفة !!...

تعطي معنى العبادة مع الحب !!... مع الشوق مع الفناء !!... مع الولع!!...

ولذلك فهو بمنتهى السعادة، والأطمئنان !!...

فهو باسمى صور القرب من محبوبه !!...

فهو بسعادة لا تشبهها سعادة !!...

فهو بنعيم لا يصل اليه نعيم !!...

سواء أكان في الحياة الدنيا، أو في الآخرة !!...

ولأجل هذه المسيرة الشاقة الممتعة !!...

ولأجل هذه المسيرة الطويلة المضنية !!...

لأنها تجمع مع الحب لوعة !!...

[illegible] يقول:

(وأصدق طائعيك)!!...

فكأنه هناك طاعة باللسان !!...

وهناك طاعة بالأجزاء !!...

وهناك طاعة في القلب !!...

وهناك طاعة بكل المشاعر والأحاسيس وكل الضمائر...

فكأن الأمام بقوله: (وأصدق طائعيك)

يقصد الدرجة العليا من الطاعة التي تكون من كل القلب، والداخل، والضمير، والأحساس معترفة بتمام الأخلاص، والصفاء مع الله -(سبحانه وتعالى)-

وكذلك من أخلص عبادك !!... فالعبادة هي نتيجة الطاعة !!...

فهناك عبادة في القول !!...

وهناك عبادة في السلوك !!...

وهناك عبادة في القلب !!...

وهناك عبادة لتمام الأجزاء، والجوارح، وحتى الأحاسيس !!...

والأمام -(عليه السلام)- يريد أن تكون عبادته لله -(سبحانه وتعالى)- من أخلص انواع العبادة !!...

ومن أتم أنواع العبادة التي هي من كل المشاعر والأحاسيس !!... والتي هي مرتبطة بالأخلاص الكامل لله - (سبحانه وتعالى)- !!...

وبعد ذلك يقول له:

- (ياعظيم...)!!...

فكأنه يقول له:

(ياأرحم الراحمين !!... ياعظيم بعظمتك التي وسعت كل شيء) ... وانا شيء !!...

ثم يقول:

- (ياجليل ...)!!...

وهل هناك أجل من الله -(سبحانه وتعالى)- فهو أعظم من كل شيء!!...

ثم يقول:

• (ياكريم...)!!...

فهو أكرم الاكرمين !!...

وهو رب العالمين !!...

وهو الواهب !!... وهو المعطي !!...

يعطي من سأله ... ومن لم يسأله !!...

ثم يقول:

• (يامنيل ...)!!...

يامنيل عباده سؤلهم وما طلبوه !!... وما تَرَجّوه وما تمنوه من ربهم، ومــن سيدهم، ومن مولاهم !!...

ثم يقول:

• (برحمتك ومَنّكَ ياأرحم الراحمين !!...)

وهكذا التنقل ما بينه وبين حبيبه، ومن عرفه !!...

فهو مرة ينتقل بين حياض المحبة !!...

ومرة يتنقل بين شرائع القرب !!...

وكُشِفَ الغطاء ما بينه وبين محبوبه حتى انجلت الظلمة عن قلبه !!...

وحتى أنجلى الرين عن ضميره !!...

وذهب ما يمكن أن يكون معه !!... ومــا فيــه مــن شــك، وشــبهة، وريب!!...

وذهب ما يمكن أن يلقيه الشيطان في قلبه، ونفسه !!...

فشرح صدره تماماً لله !!...

وتخلى لله سبحانه وتعالى !!...

وشعر بعذوبة المعاملة مع الله !!...

وشعر بلذة (الشراب) الكؤوس الالهية وما فيها من نعيم !!... ولذة!!... وطعم !!...

وبعد أن شرب الكأس الألهي !!... جلس وأنس مع الله !!...

جلس مع محبوبه !!...

جلس وأنس مع سيده، ومولاه !!...

ومن عرف فأمن في ذلك المجلس !!...

وسعد في ذلك المجلس !!...

واطمأن بالرجوع الى رب الأرباب !!...

لأنه شعر بالقرب مع محبوبه !!...

ولهذا تيقنت انفسهم، وارواحهم بالفوز والفلاح !!...

وتيقنت عقولهم !!... وضمائرهم بالسعادة والأطمئنان !!...

فهم مع محبوبهم دائما !!... وابدا يعيشون ويجلسون، ينظرون الى كل شيء ويرونه فيه !!...

وقد أدركوا ما سألوه !!... وقد نالوا ما أملوه !!...

ولهذا استقر قرارهم !!...

واطمأنت نفوسهم !!...

وتركوا الدنيا، لأجل حبيبهم !!...

وباعوا الدنيا لأجل قربه !!... ولقائه !!...

فرأوا أن هذه التجارة هي أربح تجارة !!...

وأطهر تجارة !!... وأسمى تجارة !!...

وصلوا بذلك الى ألذ الخواطر مع محبوبهم !!...

والى أحلى الطرق الى محبوبهم !!...

والى أجمل السير ... إلى من عرفوه !!...

ورأوا أن حبه هو أطيب ما يكون !!... وأطعم ما يوصف !!...

ورأوا حبه لهم بما يذيقهم من شراب قربه...

ولهذا وبعد هذه الرحلة اللذيذة الشاقة !!... يقول الأمام -(عليه السلام)- وهو في ختام مناجاته مع ربه، مخاطبا الله -(سبحانه وتعالى)- ببعض صفاته، وما يليق به من الصفات ...قائلا له:

(ياعظيم ياجليل ياكريم يامنيل ...

برحمتك وَمنِّك ياأرحم الراحمين...)

والحمد لله رب العالمين

*** من مؤلفات السيد ***

كتب قرآنية

١- المنافقون في القرآن
٢- وخافون إن كنتم مؤمنين
٣- إذا ذكر الله وجلت قلوبهم
٤- التفسير النافع- سبعة مجلدات
٥- التفسير المختصر- مجلد واحد

كتب إسلامية

٦- في رحاب الصيام
٧- التقوى
٨- الإسلام والترف
٩- من أبواب الخير
١٠- بحث حول النية والعبادة
١١- كلمة في الإيمان واليقين
١٢- مع الولد ووالديه
١٣- وبالوالدين إحسانا
١٤- درس يوم السبت
١٥- درس يوم الأحد
١٦- درس يوم الاثنين
١٧- درس يوم الثلاثاء
١٨- درس يوم الأربعاء
١٩- درس يوم الخميس
٢٠- درس يوم الجمعة
٢١- ما هو الإسلام
٢٢- لا اله إلا الله
٢٣- محمد رسول الله في مكة
٢٤- محمد رسول الله في المدينة
٢٥- محمد رسول الله الإنسان الكامل
٢٦- في رحاب الحج
٢٧- في رحاب سورة التوحيد

كتب أخلاقية

٢٨- الدين وتهذيب السلوك
٢٩- من خطايا اللسان
٣٠- اللسان بين الجنة والنار
٣١- أخلاق الفرد في القرآن الكريم
٣٢- دروس أخلاقية
٣٣- من معالي الأخلاق
٣٤- الأخلاق ودورها في الحياة
٣٥- مع الرسول الأعظم في خطبته
٣٦- الى الشباب- توبوا الى الله
٣٧- الى الشباب- استغفروا ربكم
٣٨- مع الصبر والصابرين
٣٩- المسلم بين المحنة والابتلاء
٤٠- المسلم بين الخوف والرجاء

٤١- المسلم بين السخط والرضا
٤٢- رسالة المسجد ألينا

كتب علمية

٤٣- المنطق في سؤال وجواب
٤٤- دروس في علم المنطق
٤٥- أصول الفقه(المرحلة الأولى)
٤٦- أصول الفقه(المرحلة الثانية)
٤٧- أصول الفقه(المرحلة الثالثة)
٤٨- الأدلة العقلية
٤٩- الاستصحاب
٥٠- مباحث الألفاظ

كتب في العقيدة

٥١- الشفاعة في القرآن والسنة
٥٢- حكم تكفير المسلم في القرآن والسنة
٥٣- الصلاة على محمد وآل محمد في القرآن والسنة
٥٤- زيارة القبور في القرآن والسنة
٥٥- التوسل في القرآن والسنة
٥٦- الطواف في القرآن والسنة
٥٧- القسم في القرآن والسنة
٥٨- المولد النبوي في القرآن والسنة
٥٩- متفرقات من القرآن والسنة
٦٠- نافذة على الفلسفة الإسلامية
٦١- وجود الله بين الاستقراء ونظرية الاحتمالات

كتب أطفال

٦٢- يابني أقم الصلاة
٦٣- حجابك يا ابنتي
٦٤- طهارتك يا ابنتي
٦٥- وقتك يا بني
٦٦- طهارتك يا بني
٦٧- أخلاقك يا بني
٦٨- الى صغاري الأحباء